علي الطنطاوي
حياته وآثاره

أولاً: حياته:

أ) اسمه:

هو محمد علي بن مصطفى بن أحمد الطنطاوي[١] وقد عُرف باسم (علي الطنطاوي)، وصار هذا الاسم علماً عليه بين جميع الأوساط العلمية والشعبية، وفي الأوساط الرسمية وغير الرسمية.

ولكن اسمه (محمد علي الطنطاوي) مما لم يَعْرفه به معظم من عرفوا (علي الطنطاوي) وأحبوه وتابعوا أخباره. ويذكر الطنطاوي أن اسمه اقترن بلقب (الشيخ) منذ عام ١٣٣٧هـ أي وله من العمر عشر سنوات وذلك لسمته واتصاله بالدين والدعوة[٢].

وهذا إن كان لا يثير شيئاً لدى البعض إلا أنه يلقي ضوءاً ساطعاً على اهتمامات أسرته وثقافتها وتوجهاتها، ويرسم صورة صادقة لعلمها وتدينها، لاسيما حين نعرف أن له ثلاثة أخوة (ذكور) يتركب اسم كُلٍّ منهم من جزأين في صَدْر كل منها اسم (محمد) تيمناً بالنبي الكريم ﷺ كما هي عادة الشاميين...

ب) أسرته:

ينحدر الطنطاوي من أسرة علم ودين وفضل، فقد كان أبرز معالمها العناية بالعلم الشرعي وتعليمه ونشر الدين، وأنها أسرة فطنة ونبوغ، فقد كان عمّ جدّه لأبيه، ووالد أم أبيه (أبو جدّته لأبيه) الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي عالماً قرأ

---

(١) ينظر: الذكريات: ١/١٣١-١٣٢، وينظر محمد نادر حتاحت: بعض الأوراق الخاصة عن الشيخ علي الطنطاوي.

(٢) ينظر الذكريات: ٥/١٠٣، وفي مقابلة معه بتاريخ ١٤١٧/٦/٢٠هـ (بمنزله - جدّة).

على عدد من المشايخ من أمثال محمد الخضري الكبير، وإبراهيم السقا وإبراهيم الباجوري، وكانت له مجالس في مسجد (سيدي صهيب) أول حي الميدان يُعلِّم فيها نهاره كله، حتى دعاه الأمير عبدالقادر الجزائري، فدخل البلد (دمشق) واستأجر له داراً واسعة وعينّ له معاشاً، وأرسل إليه أولاده ليقرئهم. وكان مشاركاً في كثير من العلوم حتى الفلك والرياضيات، وترك عدداً من الكتب مثل (حساب البسيط) و(حساب الرُّبع ورسمه) و(كشف القناع عن معرفة الوقت من الارتفاع) وله ترجمة ضافية في كتاب (روض البشر) للشيخ عبدالرازق البيطار وكتاب (الحدائق) للشيخ عبدالمجيد الخاني[١].

وكان جدّه لأبيه الشيخ أحمد الطنطاوي إمام طابور وواعظاً بالعسكر في الجيش العثماني[٢] أما والده الشيخ مصطفى الطنطاوي فقد كان معدوداً في مقدمة فقهاء المذهب الحنفي وكان يُستفتى في حياة مشايخه[٣]، وإليه انتهت أمانة الفتوى في دمشق، ثم أصبح رئيساً يرأس محكمة التمييز في عصره، وكانوا يدعونه لدراسة القضايا الشرعية[٤].

وكان أخوه د. عبدالغني منقطع النظير في علم الرياضيات، حتى قيل فيه (إنه في هذا العلم لا يُشق له غبار، ولا يعرف في البلاد من يدانيه)[٥] وكان أخوه ناجي قاضياً مثلاً من أمثال النزاهة والصدق، وبُعد النظر في القضاء. أما أخوه الأُستاذ سعيد الطنطاوي فقد كان صلباً في الحق، زاهداً في الدنيا وكان متمسكاً بسيرة السلف الصالح، جامعاً لكثير من العلوم والمعارف[٦].

أما الجانب الآخر من أسرته وأقصد به والدته وأخواله، فهو جانب لا يقل علماً وفضلاً ولا مكانة عن جانب أسرة والده، إذ تنتمي والدته (رئيفة بنت الشيخ أبي

---

(١) ينظر الذكريات: ١/١٣٢-١٣٥.

(٢) ينظر السابق: ١/١٤٢.

(٣) ينظر السابق: ١/١٩٢-١٩٣.

(٤) ينظر السابق: ١/١٧٩.

(٥) الشيخ محمد أمين المصري: من ورقتين بخط يده ضمن وثائق خاصة عن الطنطاوي لدى الأُستاذ نادر حتاحت.

(٦) السابق.

الفتح الخطيب)[١] إلى أُسرة آل (الخطيب) التي اشتهرتْ بالعلم والدين، وكان خاله الأَديب الكبير والصحفي الشهير، صاحب المطبعة السلفية وجريدة (الفتح) ومجلة (الزهراء) الإِسلاميتين الأُستاذ محب الدين الخطيب.

جـ) مولده وأصله:

يذكر الطنطاوي أن أصله من طنطا بمصر، وكان جدّاه الشيخ محمد وأحمد قدما دمشق عام ١٢٥٥هـ، وأقاما بها وأقامت بها أُسرتهما من بعدهما، وبقيت النسبة عالقة بهم الى اليوم دليلاً على المدينة التي وفدت الأسرة منها[٢].

وكان مولده في (بيت) صغير من بيوت حارة قديمة تدعى (الدميجة) في أواخر حي قديم بطرف دمشق يسمَّى (العقيبة) في الثالث والعشرين من جمادى الأُولى عام ألف وثلاثمائة وسبعة وعشرين للهجرة النبوية الشريفة ١٣٢٧هـ، الموافق لعام ألف وتسعمائة وتسعة للميلاد (١٩٠٩م)[٣]. وأبرز معالم ذلك البيت الصغير عناية أهله بالعلم والعلماء وقربه منهما، فقد كان على مقربة من جامع التوبة والجامع الأُموي حيث تعقد فيهما حلقات العلم وجلسات الذكر، وفي البيت الصغير كان والده يستقبل طلاب العلم ويلقي عليهم دروسه، ويحضر أديبنا معهم وهو حدث صغير، ويناول أباه المراجع والكتب التي يحتاجون إليها في جلستهم فتفتَّق ذهنه على حلقات العلم تعالج فيها مسائل الشريعة والأَدب والتاريخ، وعرف على صغره كثيراً من أسماء الكتب التي يجهلها كثير ممن قطعوا مشواراً طويلاً في التعليم، يحدثنا الطنطاوي عن تلك البيئة الصالحة فيقول: منذ وعيتُ على الدنيا، وأدركت ما حولي، وجدتني على صلة بالعلماء، أصبح فأرى أبي في مجلسه وعنده تلاميذه ما كانوا كتلاميذ المدرسة، بل كانو رجالا بعمائم ولحى يلقي عليهم دروساً في البيت أو جامع التوبة المجاور لبيتنا، فكنت أدخل عليهم بالشاي أو الفاكهة يحملها لي

---

(١) ينظر السابق: ١/٢٠٠.

(٢) ينظر السابق: ١/١٣٢-١٣٣.

(٣) ينظر السابق: ١/١٣٢.

وفاضت روحه إلى بارئها بعد عِشاء يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول عام ١٤٢٠هـ الموافق للثامن عشر من حزيران عام ١٩٩٩م في قسم العناية المركزة بمستشفى الملك فهد بجدّة، وصُلي عليه في اليوم التالي في الحرم المكي الشريف، ودفن في مكة المكرمة، رحمه الله رحمة واسعة.

أول الأمر نساء أهلي إلى باب المجلس، ويقرعن الباب، ويحمِّلنني منها ما أطيق حمله، فيثب بعضهم فيأخذه مني ويحمله عني. ثم صرت أقعد معهم قليلاً، فألتقط الكلمة بعد الكلمة، ثم صرت أناولهم الكتاب بعد الكتاب، فعرفت الحاشية والقاموس المحيط، وتنقيح الحامدية والجزء كذا من تفسير الخازن ومن فتح الباري، أو الفتاوي الهندية.. عرفت أشكالها وأسماءها لا أني قرأتها. وكنت أحضر هذه الدروس مع مواظبتي على دروس المدرسة[1].

د) حياته التعليمية:

جمع الطنطاوي في تعلمه بين طريقتين، الأولى الطريقة التقليدية القديمة والثانية الطريقة الحديثة، فجرى في الطريقة القديمة على أسلوب الأزهر الشريف الذي يعتمد على الجلوس أمام الشيخ والأخذ عنه. فقد أخذه جدّه الشيخ أحمد الطنطاوي إلى الكتاب، وله من العمر نحو خمس سنين ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م، ولكنه لم يستمر بها سوى يومٍ واحدٍ، لكنه ترك في نفسه كرهاً للعلم وخوفاً من أهله، ولنترك للطنطاوي المجال ليصف لنا هذا اليوم، يقول:

«بقيتُ فيه بعض يوم، ولكن مرارته لم تذهب من حلقي إلى اليوم، لا أزال أحسّ بها كأنما تَجرّعت بالأمس غصصها، وقد مات جدي الذي أخذني إلى الكتاب سنة ١٣٣٢هـ أي من ثلاثة أرباع القرن، ولكن ثلاثة أرباع القرن، لم تشفني من الصدمة التي ضعضعت نفسي في تلك الساعات الثلاث التي قضيتها في الكُتّاب.

كنا نقعد على الأَرض، على حصير قديم، لعل تحته حديقة حيوانات صغيرة فيها من كل حشرة زوجان، وأن علينا أن نقرأ النهار كله، أو نحرك ألسنتنا، ونخرج أصواتاً كأننا نقرأ، وأن نَضِجَّ ضجة مستمرة يسمعها من يمشي في الطريق فتكون إعلاناً عن الكتّاب، يقول للناس (أنا هنا)، ويلٌ ليته ما كان هناك.

وإننا كنا نختلس قضمة من الطعام الذي حملناه، ووضعناه بين أيدينا، فإن رآنا الشيخ بعينه تناولتنا يده بعصاه، وهو قاعد مكانه لا يفارقه، لأن بين يديه عصيّاً ثلاثاً طويلة وقصيرة وعصا بين الطول والقصر، ينظر مكان الصبي ثم يتناوله بالتي تصل إليه منها. والشيخ دائم العبوس، لا يبتسم إلا يوم الخميس حين

---

(١) ينظر الذكريات: ١/١٩٢-١٩٣ ومحمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم: ١٨٩.

يأتيه الولد بالخميسية، وهي الأُجرة المفروضة عليه، وتكون سعة ابتسامته بمقدار كثرة القروش التي تحمل إليه، ثم يعود إلى العبوس والتقطيب، كأنه شمس شباط (فبراير) في الشام حين تطل لحظات ثم يطويها تراكم السحاب.

أخذني جدي إليه، فاحتفل به شيخ الكتاب احتفالا عظيماً، لِمَا كان له من العلم والفضل والوجاهة، أو لما يطمع فيه من خميسيَّته المباركة، وبالغ في هذا الاحتفال حتى إنّه وضع [حذائي]، تحت سريره إلى جنب حذائه (أي حذاء الشيخ) وكان ذلك شرفاً عظيماً ما ناله من قبلي أحد، وما أدري أكان ذلك لمجرد الحفاوة والإكرام، أم لزيادة التضييق والمراقبة، ولكن الذي أدريه أن جدي قد خرج فذهبت لألحق به، فأمسكوني وأجلسوني عنوة، ولما صحت وبدأت أحتج، لوح الشيخ بعصاه فوق رأسي وكشر لي عن أنيابه، فتكونت في نفسي تلك اللحظة النفرة من المدرسة، والكراهية لها وبقيتُ إلى الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمات.

وقعدت يائساً لا أعلم لماذا يحجزونني ويخنقونني، وقد كنت أعيش كما أريد لا ترد لي رغبة، ولا يقف دون إنفاذ مطالبي شيء، وكنت أُربَّى تربية الدلال لأن جدي رزق عشرة من الولد فذهبوا جميعاً ولم يبق منهم إلا أبي، وكنت ولده البكر، فدلَّلوني هذا الدَّلال الرِّخو المائع، الذي بلغ من أمره أنهم أقاموا حفلة في البيت عندما كسرتُ أول إناء!!. لقد كبر الصبي ولله الحمد وصار يستطيع أن يكسر الأواني... مرة واحدة إلى حياة الكتاب السمجة الثقيلة؟ نقلة واحدة لم يستطع عقلي الصغير أن يفهم لها تأويلاً، فقعدت أنظر إلى الباب كما ينظر القط إلى الفريسة لينقض عليها، فلما رأيت جدّي مارّاً في الطريق خارجاً من المسجد، وجدت الفرصة قد جاءت فقفزت قفزة واحدة، كالقط وتبعته حافياً، وكان ذلك نتيجة لما كنت فيه وما صرت عليه ليس فيه شيء من قصد الإجرام ولا من روح الشر، وليس بالإمكان أن يكون الطفل مجرماً، ولكن شيخي عدها جريمة وأطلق ورائي صبيان المكتب، كما يطلق الصياد كلابه وراء الأرنب المسكين، فازددت منهم فزعاً وللمدرسة بغضاً، وأطلقتُ ساقي الصغيرتين للريح، ولكني اضطربت فلم أدر أي طريق آخذ بعد اختفاء جدي عن عيني؟ فسقطت وسال الدم من أنفي، وأدركني الأولاد فلم يرحموني ولم يمسحوا عني دمي، ولكنهم اقتادوني إلى شيخهم، كما يقتاد المحكوم عليه إلى خشبة المشنقة»[1].

---

(١) الذكريات: ٨/٣١٣-٣١٥.

كان هذا ما حصل له فما الانطباع الذي تركه في نفسه؟ يقول الطنطاوي:

لقد كان من أثر هذه التربية وأثر الكتاب الذي قضيت فيه يوماً واحداً أو بعض يوم، أن أورثني كرهاً دائماً للمدرسة، وبغضاً لا يزول لها من نفسي، حتى إنني لأفرح بيوم العطلة، كما أفرح إن غاب المدرس أو شغل عن الدرس، وبقي ذلك بعد أن صرت معلماً ابتدائياً، ثم صرت مدرساً ثانوياً، ثم صرت أستاذاً جامعياً وما ذهبت إلى المدرسة أو الجامعة مرّةً إلا تمنيت أن أجدها مغلقة، أو أجد الطلاب قد أنصرفوا منها والدروس معطلة فيها، بل إنني لأفرح الآن إذا هتف بي مخرج برامجي في الرائي أو الإذاعة يخبرني أن يوم التسجيل قد أُجِّل، أو خُبِّرت أن المحاضرة التي حددت ساعة إلقائها قد أُلغيت، أو أن المقالة التي كُلفت بها قد صرف النظر عنها، صرت أوثر الكسل وأكره العمل، وأُؤخره إن لم أجد منه مهرباً إلى اللحظات الأَخيرة، فلا أكتب المقالة ولا أعد الحديث، ولا أُهيىء المحاضرة إلا حين لا يبقى بيني وبين إلقائها إلا وقت إعدادها، لقد كان يوماً أسود لا تمحي من نفسي ذكراه...[١].

وكان في صباه وصدر شبابه يؤم حلقات العلماء والمشايخ بأمر من والده أول الأَمر ثم برغبة ذاتية بعد ذلك، وكان يقصدها في جامع التوبة القريب من دارهم، وفي الجامع الأُموي، وهو غير بعيد أيضاً عن منزله، وفي المسجد الأُموي يعقد العلماء حلقات كثيرة، فلا يكاد يخلو من ثلاث أو أربع على الأَقل إلا في ساعات قليلة جداً[٢]، منها ما هو لطلبة العلم، ومنها ما هو (مواعظ) للعامَّة[٣]. وكل من وفد على دمشق من الفقهاء وذوي العلم يقعد في الأُموي يقرأ ويُقرىء دروساً، يُبيِّن فيها عن علمه، ويكشف عن مشربه، ويتألف به الخاصة من الطلاب. وقد حضر في الأُموي لكبار المشايخ والعلماء من مصر والشام، والشمال الإفريقي والجزيرة واليمن[٤].

فمن المشايخ الذين جلس إليهم الشيخ صالح التونسي، وكان درسه موعظة وأدباً وتاريخاً، وما أكثر ما حفظ فيه الطنطاوي من الأَحاديث الصحيحة والأَشعار

---

(١)السابق: ٦/٢٤٢ و٨/ ٣١٠ (بتصرف يسير).

(٢) ينظر السابق: ١/٥٧–٧٦.

(٣) ينظر السابق: ١/٨١.

(٤) ينظر السابق: ١/٧٩.

البارعة، والأخبار النادرة. وكان يلقي محاضراته باللهجة التونسية فصيحة المبنى والمعنى كثيرة الأسجاع بلا تكلف، وكان يدربهم على الخطابة عن طريق تمرينهم على الكلام حين يجيبون على الأسئلة التي يملأ بها دروسه[١].

ومن مشايخه خارج التعليم النظامي أبو الخير الميداني وقد أخذ عنه النحو واللغة[٢]، وأخذ عن المحدّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، وعن الشيخ الكتاني، وقد وصفه فقال:

«كان آيةً في علم الحديث، وكتابه العظيم الذي أسماه تواضعاً (الرسالة المستطرفة) دليل هذا العلم، ولا أعرف في هذا العصر، ولا في غيره من ألّف مثله، وأحسب أنه أملاه إملاء وكنا نحضر دروسه فيقرأ معيد الحلقة... ثم يأخذ الشيخ بالكلام عن رواة الحديث واحداً واحداً، يذكر من وَثّقه ومن تكلم فيه، ثم يتكلم فيه، ثم يتكلم عن المتن وكأنه يقرأ من كتاب، في هيبة مَلِك، وتواضع عابد، واطلاع عالم منقطع النظير، بلهجة مغربية حلوة»[٣].

ومن شيوخه في المدرسة النظامية والحِلق العلمية الشيخ الكافي وكان صديقاً لوالده فقيهاً مالكياً عظيماً، قوي التأثير فيمن حوله، على شذوذ فيه أقرب إلى شذوذ العباقرة منه إلى شذوذ أشباه المجانين - كما يصفه الكاتب[٤]، ومن مشايخه: الشيخ بهجة البيطار، وكان يحضر دروسه في الأموي خلال شهر رمضان المبارك، لأنه كان يلقي دروسه اليومية في جامع بعيد عن منزل الطنطاوي، وعلى يديه سكن إلى السلفية وتبَّرأ من أوشاب التصوف، وترك ما علق به من آثار النقشبندية التي أخذها عن والده وجلّ مشايخه كأبي الخير الميداني، ولكن هذا الاستقرار العقدي لم يأت بالمجّان بل كان خلاصة فكر وبحث عن الحقيقة، ونقاش طويل مع السلفيين فلما وضح له الطريق واستبان أقبل على السلفية وأقبل معه عليها أخوه د. عبدالغني الطنطاوي، ووقف من الشيخ ابن تيمية موقفاً معتدلاً[٥].

---

(١) ينظر السابق: ٢/٨١-٨٢.

(٢) ينظر السابق: ١/١٩٢-١٩٨.

(٣)السابق: ١/٧٧.

(٤) ينظر السابق: ١/٧٣.

(٥) ينظر السابق: ٣/٣٥ (الهامش)، ومحمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم: ١٩٢.

ومنهم شيخه البلغيثي، وأخذ عنه المنطق والجدل، والمشايخ عبدالقادر الإسكندراني، وأحمد نويلاتي، وعبدالله العلمي، وصالح الميمني اليمني، والشيخ خالد النقشبندي، الذي جاء جدّه بالنقشبندية إلى دمشق، ولكنه (أي الحفيد) كان سلفياً مخلصاً، والشيخ عبدالقادر بدران، المتهم بالوهابية، وكانت تهمة خطيرة في الشام، وكان أديبنا يختلس الفرص ليحضر دروسه وكأنما كان يبحث عن المعتقد الصحيح الذي يريد أن يلقى الله به، ولكن شوهد ذاتَ يومٍ في الحلقة فعوقب على تلك الزّلة. ومنهم الشيخ يعقوب المدني من شيوخ المسجد النبوي، والعيطة وهو كفيف طلق اللسان، عالي الصوت صوفي المعتقد، والشيخ العذري وهو جريء القلب يقذف الانتداب بأبشع وأقذع السباب حتى منعه الفرنسيون من التدريس...الخ[1].

أما بالنسبة لوالده فعلى الرغم من مكانته الفقْهية ومقدرته العلمية وتمكّنه من التدريس والإفهام، فإن دوره يقف بالنسبة للطنطاوي عند حدود توفير البيئة اللازمة لطلب العلم، وتهيئة المناخ الحافز إليه. والطنطاوي يجهر بكل موضوعية وأمانة بذلك فيقول في معرض ذكره لأسماء بعض شيوخه:

«أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه، لأنهم يرونه في جده وهزله وغضبه ورضاه، والبعيدون عنه لا يرونه إلا في أحسن حالاته، ولا يبصرون منه إلا أجمل جوانبه. وأنا أزيد: أن العالِم أزهد ما يكون في تعليم أهله وجيرانه، وربما حرص على تعليم التلاميذ وشرح الجواب للسائلين، ما لا يحرص مثله على تعليم ولده، وإجابته على أسئلته. لذلك كان حظي من علم أبي دون حظوظ الآخرين، وما كنت أراه إلا طريفي النهار، وإن كان في الدار لم يخل من أصدقاء أو زوار، ولو أن الله ألهمه أن يتفرغ لي، أو أن يوليني مثل الذي كان يوليه المقربين من تلاميذه، لرجوت أن أنتفع به أكثر مما انتفعوا، وأن يبدو أثر ذلك فيَّ أكثر مما بدا فيهم... وكانت الحجب مسدلة بين الآباء والأبناء، لم ترفع كما رفعت اليوم. وما كنت أتبسَّط معه في حديث، فضلاً عن أن أدخل في مناقشة، وكنت أناديه (كما كان يفعل

---

(١) ينظر ما تقدم الذكريات: ١/٧٣-٨٠.

أمثالي ممن أعرف) بسيدي، ما قلت له يوماً: يا أبي، أما (بابا) فما كنت أتصور كبيراً يقولها، إنما يقولها الأَطفال، في بداية عهدهم بالكلام»[١].

وبالنسبة **للطريقة الثانية**، فهي الطريقة النظامية، حيث تلقى تعليمه في المدارس الأَهلية أولاً، ثم الحكومية ثانياً فعندما خرج من الكُتَّاب ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م أدخله جده في المدرسة التجارية التي كان والده مديراً لها، وكان فيها (الطنطاوي) كسائر التلاميذ، لا يتميز منهم إلا أنه كان يأكل أحياناً في غرفة الفراش[٢].

والحقيقة أن الأَمر في المدارس الأَهلية لم يختلف كثيراً عن الكُتّاب، إلا في الشكل، فالكتاب ضيق معتم والمدرسة مشرقة واسعة، أما بالنسبة لطريقة التدريس والتعامل فلم تكن تختلف في قليل أو كثير، يقول:

«كانت هذه المدرسة الأُولى التي دخلتها في حياتي، لا تعجلوا عليّ فتغبطوني أن انتقلتُ إليها من ذلك الكُتاب المعتم فقد يعيش المرء سعيداً في الكوخ، وقد يشقى في القصر، أما أنا فقد استهللت دراستي شقياً في الكتاب، شقياً في المدرسة...»[٣]

ويواصل الحديث: «كان المدير هو أبي، فهل تحسبون أني كنت مُدللاً مكرماً لأني ابن المدير؟ لا واللّه، ولقد رأيت أول عهدي بها ما كره إليّ العلم وأهله، ولولا أن تداركني اللّه بغير معلمي الأَول لما قرأتم لي صفحة كتبتها ولا سمعتم مني حديثاً أو خطاباً ألقيته، بل لما قرأت أنا كتاباً»[٤].

وكانوا قد وكّلوا بهم معلماً شيخاً كبيراً، فكان يحبسهم ولا يدعهم يخرجون من فصولهم حتى يكتبون (ألف - باء) على ألواحهم الحجرية أربعاً وعشرين مرّة، وكان أديبنا يختلس نظرات من شباك القاعة إلى التلاميذ في الساحة الداخلية والطلاب الكبار، وهم يمشون في الصحن الكبير، كما ينظر السجين إلى الطلقاء من طاقة السجن، وهكذا كانت بداية ابن المدير العام في التعليم النظامي!!.

---

(١) السابق: ١/١٩١-١٩٢.

(٢) ينظر السابق: ١/٢٩.

(٣) السابق: ١/٣٠.

(٤) السابق: ١/٣٠.

وقد عمَّق هذا الأُسلوب الفظُّ في نفس الطنطاوي الخجل الشديد، وزاده حُبًّا للعزلة وابتعاداً عن الأَساتذة والطلاب، لأنه صاحب نفس حسّاسة جدّاً فمرّت عليه شهور كان فيها منطوياً على ذاته منفرداً في المدرسة، لا يخالط أحداً من الأولاد، ولا يكلمهم إلا الكلمة التي لابد منها[١]. ولو توفر له الجو المناسب في طفولته، لاسيما في محيطه الاجتماعي الجديد داخل المدرسة لاستطاع أن يتخلص من كثير من العقد الاجتماعية التي حملها معه في شيخوخته.

وقد استمر الطنطاوي في هذه المدرسة أربع سنوات من عام ١٩١٤م إلى عام ١٩١٨م بلغ خلالها الصف الخامس الابتدائي[٢]، ثم أغلقت المدرسة أبوابها لخروج السلطة التركية من سوريا، وانتقل مباشرة إلى (المدرسة السلطانية الثانية)، ولكن رُدّ إلى الصف الرابع لتبدّل المناهج الدراسية. وكان الانتقال إليها – لما رافقه من تحولات – أكبر من مُجرَّد الانتقال من مدرسة إلى مدرسة، فقد رافق انتقاله إلى المدرسة انتقال الحكم لأيدي العرب في العهد الشريفي، فكان في التجارية يتعلم التركية والفرنسية ويدرس القواعد العربية باللغة العامية التركية، فصار في (السلطانية الثانية) يدرس العربية، ويهتف في كل صباح والثقة تملأ فؤاده الصغير (ليحيا الاستقلال العربي)، ويتعلم اللغة العربية بلغة عربية فصيحة، ويدرس الإنجليزية بدلاً عن التركية والفرنسية[٣].

وفي هذه المدرسة التقى أديبنا بأستاذه وصديقه حسني كنعان، وهو أول من علمه الإنشاء، وترك عليه أثراً من بصمته الساخرة في تناول الأَشياء والكتابة عنها. وكان يأخذ مقالات المنفلوطي، فيجعلها بحيث يفهمهما طلاب السنة الرابعة الابتدائية، ثم يكلفهم أن يكتبوا مثلها، وفي تلك المدرسة رأى أول مظاهرة ضد الإنكليز، وهتف لأول مرة فيها مطالباً برجوع ياسين باشا الذي اختطفه الإنكليز، وحضر ليلة الاحتفال بتتويج الشريف فيصل ملكاً على سوريا.

---

(١) ينظر السابق: ١/٣٣.

(٢) ينظر السابق: ١/٥٣–٦٣.

(٣) ينظر السابق: ١/٦٣.

ومن مشايخه فيها الشيخ زين، وأخذ عنه التوحيد والعقيدة، ومصطفى تمر، وزين العابدين التونسي، والأُستاذ القواس صاحب الطريقة المعروفة في تدريس قواعد النحو العربي، وهي طريقة خاصة ابتكرها وسماها (دروس القواس)، والأُستاذ علي الجزائري وكان يُدَرِّس له اللغة الفرنسية[١].

ولم يكد يكمل عامه الثاني بها حتى نقله والده إلى المدرسة (الجقمقية)، لأنه لاحظ الطلاب في المدرسة أخذوا يسخرون منه ومن زميله عبدالحكيم مراد، لأنهما يتكلمان بالفصحى. وفي (الجقمقية) بدأ الطنطاوي عهداً جديداً مع التعليم[٢]، وكيف لا يكون كذلك وقد جلس أمام مرب من أشهر المربين في سوريا وأوسعهم خبرة ومعرفة مع لين وتواضع ورفق:

«في هذه المدرسة بدأ التأثير الباقي في نفسي للأساتذة الذين حضرت دروسهم، أما الشيخ عيد فقد كان له أبقى الأثر فيها، وما كان يعلمنا ولا يلقي علينا دروساً، بل كان يلقي الكلمة فيصيب حبّات القلوب مِنَّا، وأنا قد نسيت أغلب ما سمعت من دروس المدرسة، ولكن أمثال هذه الكلمات التي تأتي في موضعها وتقترن بمناسبتها لا تزال في أذني، وفي قلبي... ولطالما حفظت أحاديث صحيحة، وأحكاماً فقهية، ووعيت نصائح وحكماً، انتفعت بها في حياتي، كل ذلك من هذه الكلمات...»[٣].

وفي هذه المدرسة اتضح له الجمع بين القراءة على المشايخ على الأُسلوب الأَزهري القديم وبين الأُسلوب الحديث بالدراسة في المدارس. فكان يحضر عند بعض أساتذته في المدرسة وفي المسجد الأُموي مثل الشيخ الكتاني والكافي والشيخ صالح التونسي[٤]. وقد حصر الكاتب العوامل المؤثرة في تفكيره وتحديد سلوكه في تلك الفترة، في أربعة عوامل:

١. مدير المدرسة وصاحبها الشيخ عيد.

---

(١) ينظر السابق: ١/٦٠.

(٢) ينظر السابق: ١/٦٣ وما بعدها...

(٣) السابق: ١/٦٩-٧٠، ٧٣-٧٤.

(٤) ينظر السابق: ١: ٧٠-٧١.

٢. الجامع الأُموي وحلقاته.

٣. الشيخ صالح التونسي.

٤. الشيخ الكافي.

وقد اضطر الطنطاوي إلى مغادرة مدرسة الشيخ عيد السفرجلاني لانتقال أهله من (العتيبة) إلى (الصالحية) واختار له والده مدرسة (أنموذج المهاجرين) المعروفة الآن باسم مدرسة طارق بن زياد، وكانت المدرسة الحكومية الأُولى التي دخل إليها، وقد رأت الإدارة إرجاع التلاميذ صفاً واحداً للوراء، فتأخر الطنطاوي للمرة الثالثة إلى الصف الرابع، لكن منحه فرصة أخرى للتعلم والمعرفة، وزادهُ قرباً واطلاعاً على كثير من العلوم[1].

وقد تخرج أديبنا فيها عام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م فحصل على الشهادة الابتدائية، بعد امتحان صعب جداً أشرف عليه حاكم دولة دمشق، أما أبرز الأَساتذة الذين عرفهم في (أنموذج المهاجرين) فالشيخ بهجة البيطار، وحامد تقيّ وممدوح الشريف، وعبدالحميد عبدربه، وعن الأخير أخذ الخط ورسم الحرف إملاءً وشكلاً والرسم عن الطبيعة ورسم الأَحياء، ولا تزال تلك المهارة في يده إلى اليوم، ولكنه لم يعد يجيز لنفسه رسم الأَحياء.

ويبدو أن تغيير أساليب التربية في المدارس الحكومية عنها في المدارس الأَهلية والكتاب، وميلها النسبي إلى الاعتدال أدى به إلى محبة القراءة فانفتح على القراءة يمضي الساعات الطوال في البيت والمدرسة في القراءة، وبعث في نفسه الثقة أيضاً، فإذا الطالب الخجول المستوحش المعتزل يقوم في زملائه وشيوخه خطيباً ينكر عليهم في خطبته الخروج لاستقبال المفوض السامي الجديد، وينهى أساتذته وزملاءه عن الخروج إليه واستقباله، وأكد فيها عداوة المستعمرين الفرنسيين للعرب والمسلمين وخيانتهم لكل المواثيق والعهود التي قطعوها على أنفسهم، فَتَنَبَّهَ الغافل من الأَساتذة والتلاميذ إلى معنى الخروج وما فيه من رفع لأسهم المستعمر، وتمكين له، ويقعد أكثر الطلاب والأَساتذة عن الخروج، ويُعاقَب الطنطاوي على خطبته

---

(١) ينظر السابق: ٥٨/١.

(الثائرة) وهو لا يزال في المرحلة الابتدائية بالتكدير العلني، وكسر علامة الأَخلاق والسلوك، فكان منبر مدرسة (أنموذج المهاجرين) العتبة الأُولى التي ارتقى عليها حتى لانت له درجات المنابر، وعرفته أعوادها[1].

وعقب أن أنهى الطنطاوي دراسته الابتدائية انتقل إلى مكتب عنبر، وهي مدرسة متوسطة وثانوية، وفي هذه المدرسة تكونت شخصيته على النحو الذي نعرفها عليه، إذ توجه بقوّة إلى دراسة العربية والشعر والنحو، والشريعة والتاريخ، والموسيقى والأَدب الفرنسي بلغته الأَساسية لمشاهير الأُدباء الفرنسيين، والرياضيات والعلوم وكان يدرسهم أئمة البلد في تلك العلوم. فعوّضوه عما لاقاه من عنف وشدّة: ليناً ورفقاً، وأدنوه من أنفسهم فأخذ يجادلهم ويحاورهم بحرية شديدة، فصقل هذا الحوار شخصيته العلمية، وزاد من سيطرته على المعرفة وإتقان طريقة تشكيلها، والإفادة منها. ومن أكثر مشايخه تأثيراً فيه، وقرباً منه الشيخ عبدالقادر المبارك، وعبدالرحمن سلام، وسليم الجندي- رحمهم الله جميعًا.

ولم تكن مدرسة عنبر كغيرها من المدارس!! ولكن كانت مجتمعاً للشباب المثقف ومصدر كل حركة وطنية ضد حكومة الانتداب، يحدثنا عن أحد المواقف التي قاد فيها مكتب عنبر وجموعاً من الناس خارج المكتب للمطالبة بإلغاء العقوبة التي أوقعت على صديقه أنور العطار ومن معه يقول:

«جئت يوماً فخُبِّرت أن جماعة من الطلاب قد طردوا من المدرسة ثلاثة أيام، لأنهم خالفوا أمر المراقب وسهروا محتفلين بليلة النصف من شعبان. ونمت في موعدي لا أفكر في ذلك، حتى إذا كان السَّحر، فإذا أنا بفكرة تسيطر علي بلغ من قوتها أن أيقظتني من منامي. هي أن أذهب إلى المدرسة صباحاً فأنتظر قرع الجرس للدرس، فإذا قرع وقفت على واحد من هذه المقاعد المحيطة بالساحة، فخطبت أدعو إلى الإضراب أو يعاد من طرد من الطلاب.

وصليت الفجر ولبثت قاعداً أرقب طلوع النهار، فما كاد يطلع حتى وليت وجهي شطر المدرسة، ولم يكن لي أب أستأذنه، فقد توفي أبي قبل تلك السنة، ولم يكن لي أخ كبير أستشيره. وكنت أصدر عن رأي نفسي وحدها. ووجدت باب

---

(١) ينظر السابق: ١/٩٥-١٠١.

المدرسة مغلقاً لما يفتح، فمررت برفيقي محمد الجيرودي (المحامي) فأمضيت عنده ساعة، وخضت معه في كل حديث، ولكنني لم أعرج على ما في نفسي، ولا أشرت إليه، وذهبنا إلى المدرسة معاً، فلما قرع الجرس، وهموا بالدخول وقفت فخطبت وهيجت وحمست، ودعوت إلى الإضراب. فاستجابوا جميعاً لا لما ألقيت عليهم، بل لما كان من الاستعداد في نفوسهم، فقد كانوا يلبون إن دعوا بهمسة يهمس بها صاحبها ويختبىء، فكيف وقد دعوا (لأول مرة) بخطبة معلنة يلقيها صاحبها ويقف؟ ذلك لأنها كانت أيام نضال، وكانت الأُمة كلها كالجنود في الثكنة، ينامون على استعداد، ويقومون على استعداد، لا يسمعون صوت الداعي، حتى يفزعوا إلى أسلحتهم ويهبوا سراعاً إلى صفوفهم. وكانت الإضرابات تعد في الخفاء لئلا يُعرف من دعا إليها فيعاقب، فلما رآني الطلاب أجهر وأعلن، لا أختفي ولا أتوارى عجبوا مني وأعجبوا بي، وصرت في لحظة زعيم المدرسة.

وجربت الإدارة الترغيب والترهيب، ولجأت إلى الوعيد والتهديد ونزل المراقب، ثم المدير الثاني، ثم المدير الأَول والأَساتذة، فكنت أرد على كل محاولة بخطبة جديدة، فوجدوا الأَمر أصعب مما كانوا يُقدِّرون ويعرفون، فخبروا الوزارة. فجاء مدير المعارف الأُستاذ شفيق جبري، فألقى كلمة أدبية بليغة، ورددتُ بكلمة أذهبت أثرها، ثم جاء الوزير نفسه، وكان أستاذنا الكبير محمد كرد علي، فصحت به من مكاني: يا معالي الوزير، فمضى قدماً ولم يلتفت إليَّ، فأعدت النداء فما وقف، فأسمعته كلاماً استوقفه، ثم حول وجهه إلي فسمع مني، وأجابني. وكنت يومئذ في قمة القدرة على الخطابة والارتجال، لا أحتاج إلا إلى ابتداء الكلام حتى تنثال عليَّ المعاني، وتزدحم الخواطر، وينطلق اللسان يعبر عنها ببليغ الكلام. وكنت يومئذ، فَتِيَّ الذاكرة كثير المحفوظ، لم تضعف ذاكرتي الأَيام، فكانت كل خطبة كأنها قطعة أدبية من الأُسلوب الفحل، تفيض بالآيات والشواهد والأَمثال، فضعف مع الأَيام جناني، وكلَّ لساني، على أن فيَّ بحمد اللّه بقية (لاتزال) تسر الصديق، وتكبت العدو.

وفُتح باب المدرسة فخرجت وخرجوا ورائي، وكان حولي فئة من الشباب الأَقوياء، والحارس الخاص عبدالستار العلمي وكان معي من يحمل سلماً قصيراً، فحيثما تجمع الناس صعدت عليه فخطبت. نفذنا إلى سوق الحميدية، فالسنجقدار، فالمرجة، فإلى قصر الحكومة، وحيثما مررنا، أغلقت المخازن ومشى الناس وراءنا، حتى أحاطت جموع لا يحصيها العاد بالقصر، والبلدية القديمة،

وإدارة الشرطة. وصعدت على العمود التذكاري، أمام قصر الحكومة، أخطب وأنادي رئيس الحكومة، ففتح باب الشرفة الكبيرة، وأَطَلَّ منها علينا، وكان الرئيس الشيخ تاج الدين بن الشيخ بدر الدين الحسني، وكانت خطبة كلماتها من نار الحميم، وأسلوبها من هبة العواصف. لقد أسكرني هذا الفوز، فكدت أتدحرج فأنحدر في هذا الطريق، لولا أن تداركني اللّه فأراني عاقبته، لقد اغتررتُ بالحلاوة في أعلى الكأس، فأذاقني اللّه طعم المرارة في أواسطها وفي قعرها.

وَعَدَ الشيخ تاج وهدَّأ وشجَّع، بل وشكر. فلما تفرق الجمع وصرت وحدي أمسكوا بي فلم أنتبه إلا وأنا في حاشرة (زنزانة) طول أرضها متر وعرضها متر، وحيد فريد ليس حولي من أخطب له، ولا من يصفق لي، لا أستطيع أن أضطجع ولا أن أَمُد رجليَّ، وليس من حولي إلا جدران مغلقة ليس لها نافذة، ولا معي فيها أحد. فقعدت أفكر!! كنتُ في أول النهار طالباً مغموراً يمشي في جماعة الناس، لا يعرفه أحد، فيضره أو ينفعه، فما جاء الظهر حتى صرت علم البلد، وأضحيت ملء الأَبصار والأَسماع. فما صار العصر حتى كنت سجيناً ذليلاً مسلوب الحرية، معرضاً للأذى.

هذه هي حياة السياسيين المغامرين: يوم في الذُّروة ويوم في الحضيض، يأكلون يوم السبت (البقلاوة)، ولا يجدون الأَحد ولا الخبز اليابس. إنهم كالذي يحتل مقعداً في الصف الأَول من المسرح، إنه أكبر والمنظر فيه أجمل ولكن ليس له رقم، ووراءه من ينتظر غفلته، ليرميه عنه ويحتله دونه أفليس خيراً منه، مقعد في الصف الثاني، ولكنه مرقَّم محفوظ، إن قمتُ عنه، رجعتُ إليه فوجدته. وقرَّرت من ذلك اليوم أن أقعد في الصف الثاني»[1].

كانت هذه الحادثة السبب المباشر – كما ذكر لي بأسلوبه الساخر – في أن يلزم الصف الثاني، فيوجّه ويأمر وينهى ويُبين الطريق الصحيح، أما القيادة وركوب موجات السياسة فشيء لم يخلق له، وليس عنده مقوماته[2].

---

(١) السابق: ١/١٧١–١٧٤.

(٢) ينظر السابق: ٢/٦٨، ومقابلة معه في ١٤١٦/٥/٢٥هـ (بمنزله – جدّة).

وقد خرج الطنطاوي من مكتب عنبر ليعمل ويتكسب، ولكنه فشل، فأعاده عمّه قبيل الامتحان النهائي بعشرة أيام واختار شعبة الأدب، ودخل الامتحان فكان الأَول بين الطلاب[١].

وفي العام نفسه ١٣٤٦هـ – ١٩٢٧م أحدثت حكومة الانتداب نظام البكالوريا وطبقت فيه مناهج الفرنسيين كما هي عليه في فرنسا بالإضافة إلى مواد اللغة العربية والتاريخ والشريعة، وكانت البكالوريا – كما هي عليه في النظام الفرنسي – على قسمين الأَول في نهاية السنة الحادية عشرة، والثانية في نهاية السنة الثانية عشرة، فاختار في الأُولى بكالوريا العلوم، وفي الثانية بكالوريا الفلسفة، ويؤكد أن الفلسفة قد جدَّدت فكره ووسعت أفقه، وتركت في نفسه أثراً عميقاً لا يمحي، ولكنها كادت تفتنه في دينه لولا أن سلمه اللّه بإيمان خالص لا يتطرق إليه الشك[٢].

وفي أواخر عام ١٣٤٧هـ – ١٩٢٨م أنهى الطنطاوي دراسته الثانوية، ولكنه أضاع سنتين من عمره بعد ذلك، ذهب في بعضهما إلى مصر وسجل في كلية دار العلوم، ثم أعاده الحنينُ إلى الشام وترك كلية دار العلوم ولم يلتحق بالجامعة في الشام إلا في عام ١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م حيث دخل كلية الحقوق وواصل فيها إلى أن تخرج أواخر عام ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م محققاً المرتبة الأُولى بين رفاقه.

ولم يكن يحرص على الحضور إلا ريثما يختلس إشارة الحضور (م) ثم ينسل هارباً ليسعى على الكسب لنفسه ومن يعول، إلا حين تكون المحاضرة للشيخ أبي اليسر عابدين، أو فارس الخوري، أو الأُستاذ إستيف، فإنه لا يملك أن يفرّ منها كما لا يملك الجائع أن يفرّ من المائدة العامرة[٣].

هـ) حياته العملية:

اضطر الطنطاوي إلى العمل عند وفاة والده ليتكسب ويعول أهله، ولما حصل على شهادة الكفاءة المتوسطة (أو ما يسميها بالكفاية) توقف عن التَّعلم في

---

(١) ينظر: الذكريات: ١/١٨٣–١٩٠.

(٢) ينظر: السابق: ١/٢٤١، و٢٦٣–٢٦٤.

(٣) ينظر: السابق: ٣/١٦٣–١٩٥.

المدرسة، وانتقل إلى العمل عند بعض الموسرين محاسباً، فلم تناسبه الحال، ثم اشتغل بالتجارة طرفاً من عام ١٣٤٤هـ – ١٩٢٥م ولكن تجارته خسرت، فرجع إلى إتمام تعليمه من جديد. ولكنه مازال محتاجاً إلى العمل، فبدأ مُعلماً في المرحلة الابتدائية وفي المدارس الأَهلية، وهو لم يكمل تعليمه الثانوي بعد، فَعلَّم في المدرسة (الأَمينية) عند الشيخ شريف الخطيب و(الجوهرية) و(الكاملية) التي أنشأها كامل القصاب و(التجارية)، وأعطى دروساً أدبية عام ١٣٤٨هـ في الكلية الوطنية وهي للشيخ أبي الخير الطباع، وطبع بعض هذه الدروس في كتاب بعنوان (بشار بن برد)[١].

غير أن بداية عمله الرسمية كانت وهو طالب بكلية الحقوق عام ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م معلماً بمدرسة ابتدائية في قرية (سلمية) بعد أن سُدّت في وجهه أبواب الكسب التي يرضاها. والسبب في تردده ثمّ قبوله مكرهاً هذه الوظيفة تحت ضغط الحاجة، أنها كانت وظيفة غير شعبية، أي: أنها تحت الحكومة الفرنسية، والطنطاوي كان من زعماء وقادة الطلاب في النضال ضد الاحتلال الفرنسي إبان تلك الفترة، يرى كما يرى الشاميون وقتها – أن موالاتهم ذنبٌ، وطاعتهم ضعفٌ، ومدحهم جريمة، ولأنّه خلق أبيَّاً على الظلم منيعاً على الاستبداد، لا يحترم الكراسي، بل من كان عليها إن كان يستحق الاحترام، فإن لم يكن من أَهل الاحترام كان الكرسي فارغاً أكبر في نفسه. وهم إنما يقيسون صلاح الموظف بمقدار طاعته الأَمر وهو صامت، فيطلق يديه بالتنفيذ، ويمسك لسانه عن الاعتراض، ويقيس الرجال بمراتبهم ورواتبهم، ويقيم تقديره لهم على أرجل كراسيِّهم. وهو لا يستطيع أن يروّض نفسه على هذا السلوك ليكون الموظف الصالح عندهم، لا يستطيع أن يمشي مُكبّاً على وجهه من كثرة الانحناء ليقولوا عنه إنه مثال الاعتدال[٢].

ولكن لم يلبث أن نُقل إلى (سقبا) قرب دمشق، ففرح بذلك لأنه اقترب من والدته وأهله، ومن كلية الحقوق التي لا يزال يَدْرس بها. ولكنه في الوقت الذي

---

(١) ينظر: السابق: ١/٢٩ و٢/١٠٣–٢٣٤ و٥/٢٥٧–٢٥٨.

(٢) ينظر: السابق: ٢/٢٠٩–٢١٣.

كان يرجو فيه أن يأتي كتاب ينقله إلى دمشق فيطوي عنه صفحة الترحال، يُفاجأ بالكتاب ينقله إلى قرية بعيدة تدعى (رنكوس)، فخرج حزيناً يودّعه تلاميذه: تنطق عبراتهم على صفحات خدودهم البريئة بما تعجز عنه ألسنتهم. ومما زاد في ألمه أن المتسبب في نقله صديق له كان أبوه وجيهاً من وجهاء البلد، بذل وجاهته في نقل ابنه إلى سقبا ليقترب من دمشق، ودفع بالطنطاوي مكانه[1].

وجاء انتقاله المفاجىء إلى (رنكوس) في قلب الشتاء، وكان يستطيع أن يطلب إجازة، ولكنه حزم حقائبهُ وركب إلى (صيدنايا) وشق بقدميه طريقه عبر الثلوج نحو ساعتين ونصف، دافع فيها الخوف من قاطع الطريق ووحوش الأَرض، وبرد الشتاء والإحساس الضعيف بالظلم، فَلَمَّا أن بلغ (رنكوس) ألقى في أهاليها خطبةً أَثَّرت في وطنيتهم، ونبهَّت إيمانهم، وحيَّت بطولتهم ورجولتهم، وكانوا رجالا صلاب الأَعواد على الفطرة النقية، ثم أخذ يُرغِّبهم في العلم ليكون من أبنائهم من يملأُ تلك الكراسي التي يقتعدها الجواسيس والمنافقون ـ على حدّ قوله[2].

وظل الطنطاوي يتنقل في مدارس الشام حتى جاءته فرصة للعمل في العراق عام ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م فغادر دمشق إلى العراق، ويذكر الطنطاوي عن نفسه أنه: لم يكن خلال عمله تحت حكومة الانتداب الفرنسي مواليًا للاستعمار، نعم صار موظَّفاً وأمسك بمعصمه القيد، ولكنه كان قيداً واسعاً يستطيع أن يخرج يديه منه متى شاء، لأنه باع بعض وقته بهذا الراتب وبعض حُرّيته لكنّه لم يبع ضميره ولا لسانه، ولا قلمه، فهو لا يزال حُرَّ الضمير طليق اللسان، يملك قلمه ورأيه ولم يبعهما لأحد، ولم يهجر المنابر، ولم يُطلِّق الصحف، ولكن كان – كما يذكر – يخرج من الوظيفة فيصعد منبر الأُموي، ويطلق صيحته المعروفة عنه: «**إليَّ.. إليَّ.. عباد اللَّه!!**» ويتبيَّن المصلون صوته الجهوري تتجاوب أصداؤه من أرجاء المسجد بلا مكبرّ، فيقبلون عليه ويسرعون إليه ليسمعوا منه الحقيقة مجرّدة من الرتوش والتشوهات، يسمعون منه ما كانوا يسمعونه قبل أن يصير موظّفاً. وقد يخرج من الوظيفة فيقود إحدى المظاهرات الشعبية كما كان يفعل قبل أن يكون موظفاً،

---

(١) ينظر: السابق: ٢/٢٦٣–٢٧٢ و٣/٥–١٣.

(٢) ينظر: السابق: ٣/١٢–١٣.

ويكتب في الصحافة كما كان من قبل ما يُرضي حكومة الانتداب وما يُغضبها، لم يجعل من همّه حتى وهو موظف عند حكومة الانتداب رضا المستعمر أو غضبه، بل كان همّه أن يُرضي ربّه، ويصدق مع نفسه والناس[١].

وفي العراق عمل الطنطاوي مدرِّساً بالثانوية المركزية في بغداد، ولكنه لم يلبث أن اصطدم بأحد المفتشين بالعراق فكتب فيه مقالة أزعجته فغادر لأجلها العراق، والطنطاوي يعترف بأنه قد ظلمه بمقالته فيه. وكان ذلك سبباً من أسباب نقله إلى البصرة ثم علم أن بالعراق من يكيد له ويتربص به الدوائر[٢]، فرأى الانتقال إلى بيروت ليُعلِّم فيها في الكلية الشرعية أو المسمّاة بـ (أزهر بيروت) فلم يستمر بها سوى سنة واحدة هي عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م إذ غادرها إلى دمشق لمرض أصابه[٣].

وعاد أديبنا بعد أن عوفي إلى العراق مجدداً بدعوة من الشيخ بهجة الأَثري - رحمه الله - فعمل بمعهد العلوم الشرعية، الذي يسمي بـ (مدرسة الإمام الأعظم) عام ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ولقي كثيراً من المشايخ والعلماء الذين أنس بهم وسعد بقربهم. غير أن الوضع العام سرعان ما تبدّل إذ عصفت الفتنة القوميّة بالعراق، فلم يَثبتْ لها من المتعاقدين - كما يقول - غير ثلاثة: الطنطاوي وأحمد مظهر العظمة، والأُستاذ عبدالمنعم خلاف، فنقل الطنطاوي إلى مناطق الأَكراد الشمالية مدرساً بإحدى الثانويات، وهناك حذَّره المدير من طلاب الأَكراد وتعصبهم ضد العربية، وذكر له ما صنعوه بأساتذتهم. وكان يقول له ذلك حتى يثنيه عن الدخول إليهم، ولكن الطنطاوي ازداد إصراراً على الدخول إليهم، واختار أكبر الفصول فلما مَثُل أمامهم، نظر فإذا وجوههم وعيونهم محمرَّة، وإذا الغضب يبدو عليهم، فصعد على بعض مقاعد الطلاب، ثم قال لهم: اسمعوا الذي أقول لكم يا أبنائي.. أنا ما جئت من بغداد لأعلمكم العربية من أجل أهل بغداد، ولا خدمة لهذه الدعوة القومية، ولكن جئت أعلمكم العربية لأنها لغة نبيكم، وكتاب ربكم، أَلا تحبون محمداً؟! قالوا: بلى نحبه، أَلا تحبون القرآن وتقرأونه؟! قالوا: بلى ونقرأُه. وتأثر

---

(١) ينظر: السابق: ٢/٢٧٣-٢٨٢.

(٢) ينظر السابق: ٣/٢٨٠-٣١٧ و٤/٥-٥٠.

(٣) ينظر السابق: ٤/٥١-٧٢.

الطلاب حتى كادوا يبكون وحملوه على الأعناق، وأخذوا يهتفون له، فلما سمع المدير الهتاف استدعى الشرطة وتهيَّأوا للدفاع عنه، فإذا به يخرج محمولاً على الأعناق، ويعلل الطنطاوي لذلك بأنه دعا بكلمة اللَّه، وكلمة اللَّه لا تكون إلا العليا[1].

وبعد مدة من الزمن ضاق بكركوك وعيشتها الهادئة، ورأى الدنيا من حوله توشك أن تنفجر، وقد تحقق هذا التوجس فلم تمض مدة يسيرة حتى قامت الحرب العالمية الثانية، فاستخار اللَّه وقرر العودة إلى دمشق. وطلب من وزير المعارف العودة إلى وظيفته الأُولى، فأمر بتعيينه أستاذاً معاوناً في مدرسة التجهيز، التي كانت تدعى مكتب عنبر، مكان أستاذه عبدالقادر المبارك، ولكن وقع للطنطاوي حادث أدى إلى نقله إلى دير الزور في عام ١٣٥٩هـ -١٩٤٠م، فقد (اعتدى) على الأُستاذ نظيم الموصلي، وكان قد كلفه (ميشيل عفلق) إلقاء خطبة كتبها في إحدى احتفاليات الموالد بالشام، ولم يكن الطنطاوي ممن يرى حضورها إلا من قبيل تخفيف الابتداع فيها وردّ الناس إلى فطرهم الصحيحة، ولكن خطاب عفلق استثاره فما كان منه إلا أن قفز على المسرح، وأخذ بعنق الأُستاذ نظيم الموصلي وقذف به من فوق المسرح فوقع على من هم في الصف الأول، وأخذ زمام الحديث فتكلّم بما تيسر له، وصحح به ما تقدم من كلام عفلق، فنقلوه تأديباً إلى دير الزور ونقلوا نظيماً إلى حلب[2].

أما المدرسة التي عمل بها في دير الزور فهي مدرسة ثانوية، وقد صادف عمله بها وقوع باريس تحت سيطرة الألمان، وسريان ثورات واضطرابات عامّة في الشام ضد حكومة الانتداب الفرنسي، ولما كان يهمّ بالعودة إلى دمشق ليقضي العطلة الصيفية وقف ينتظر أداء صلاة الجمعة، جاءه الشيخ حسين السراج، فقال له: إن القوم يريدون أن تُلقي فيهم خطبة قبل أن تسافر.. فحذَّره الطنطاويُّ نفسَه، وقال: أنت تعلم أنني كالقنبلة التي لا يمسكها أن تنطلق إلا مسمار صغير، وإني أخاف

---

(١) ينظر السابق: ٤/١٢٧-١٣٦.

(٢) ينظر السابق: ٤/١٤٢-١٤٩.

أن تطغى بي الحماسة فأقول مالا يسمح به المقام. فقال الشيخ حسين: قل مابدا لك. فقام إلى المنبر وخطب في القوم خطبةً، وصفها بأنها كانت ناريةً، وأورد منها قوله:

«لا تخافوا الفرنسيين، فإن أفئدتهم هواء، وبطولتهم ادعاء، إن نارهم لا تحرق، ورصاصهم لا يقتل، ولو كان فيهم خير ما وطئت عاصمتهم نعال الألمان»[١].

ولم يكن الناس في دير الزور بحاجة إلى إثارة فأفئدتهم ملأى وأيديهم مشتاقة للانتصار لكرامتهم، فإذا هم يملأون الشوارع في مظاهرات من نار فيها إعصار وزلزال وبراكين، وتطالب بالوصول إلى قيادة الفرنسيين في دير الزور. فأمر المستشار (الكولونيل العسكري) باعتقال المتسبب غير أن جموع الناس حالت دونه، ولكن حيل بينه وبين العودة إلى دير الزّور، وأُعطي إجازة مرضية[٢]. غير أنّه لم ينقطع عن التعليم بالكلّية، ولكنه علّم هذه المرّة (**البنات**) في ثانوية ابن خلدون، ثم عمل في المعهد العربي الخاص الذي أنشأته الجماعة الإسلامية عقب الاستقلال، ولما أقيمت كلية الشريعة في الشام تولى تدريس (فقه السيرة) بها، ولم يتركها إلا بعد أن فَتَحتْ أبوابها للدراسة المختلطة للطلاب والطالبات، بعد أن جادل طويلاً لبيان خطر مثل هذا العمل؛ لأنه يؤدي في النهاية إلى مفاسد كثيرة أولها في جانب الأخلاق وآخرها لا حدود لتصوّره[٣].

ولم يكن الطنطاوي خلال تدريس الطلاب يعدُّ نفسه مُعلِّماً فقط، وما كان يرى نفسه مسؤولاً أمام وزارة المعارف وحدها، يطبق مناهجها، بل كان يُعدّ الجواب للسؤال يوم العرض على اللّه، السؤال عن تربية الأولاد على ما يرضي اللّه، كان يعدّ نفسه مسؤولاً تجاه اللّه عن تخريج أمَّة جديدة تُؤمن باللّه إيماناً خالياً من الشرك كله، تخاف اللّه ولا تخاف في الحق أحداً، وتستهين بعذاب الدنيا مهما اشتد، للخلاص من عذاب اللّه في الآخرة وهو أشّد[٤]؛ فلم يكن يحفل كثيراً بالمنهج المدرسي بل يجعله مُنطَلَقاً يصدر عنه وإليه يعود، لكنه لايقيد نفسه به، ولم يكن يتصل بهم الاتصال المعهود ولكن يقترب منهم اقتراباً شديداً، ويعتني

---

(١) السابق: ٤/١٥١–١٥٩.

(٢) ينظر السابق: ٤/١٥٩–١٦٠.

(٣) ينظر السابق: ٨/٧٧–٧٩ ومحمد المجذوب علماء ومفكرون عرفتهم: ٢٠٠–٢٠١.

(٤) ينظر الذكريات: ٣/٢٦٢–٢٦٣.

بسلوكهم ويشرف على سير علاقاتهم، ويعلّمهم الثقة بالنفس، والجرأة في الحق، والرجولة والفتوَّة فهو يربيهم أوّلاً ويعلمهم ثانياً، يُعلّمهم ذلك بالسلوك الحيّ والتطبيق، وبالكلمة البليغة في تأثيرها، لكنّه لا يُلقي عليهم في ذلك محاضرات فلسفيّة، ولا خطباً بليغةً في بيانها، بل يكلمهم باللسان الذي يفهمونه، لا يجمعهم لذلك جمعاً ولكن يتّبع فيهم سُنّة رسول اللّه ﷺ في الدعوة إلى اللّه، كلمة هنا، وكلمة هناك، وكل كلمة في موضعها، وكل كلمة عند مناسبتها، يحفظها من يحفظها وينساها من ينساها، ولكن لا يَضيع أثرها أبداً؛ لأن ذاكرة الطفولة تحتفظ بها حتى يكبر فيدرك معناها، كما تحفظ الصحراء بذور الكلأ حتى يأتي المطر فتخضر منه الصحراء[١]؛ ولذلك لم يحتج إلى عقاب أحد منهم[٢].

وقد اشتغل الطنطاوي فترة وجيزة بالمحاماة وترافع في بعض القضايا ولكن لم يستمر فيها برغم عشقه لها؛ لما وجد فيها من الكذب والخداع[٣].

وفي سنة ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م، كانت الأَوراق الرسمية تشير إلى أن الطنطاوي مريض، وأنه في إجازة مرضية، على الرغم من أنه على أرض الواقع يعمل بالسرّ، ولا يشكو من أي مرض. وبينما كان ينتظر الترام ليصعد به إلى بيته في الجبل (قاسيون) وقع بصره على دعوة موجَّهةٍ لحملة إجازة الحقوق للعمل في القضاء، فاتجه إلى بعض أصدقائه وحصل على المراجع اللازمة، ودخل الامتحان فنجح فيه، وعُيِّن قاضياً بـ (النَّبك).

وعند أول مرّة تطأ قدمه محكمة (النَّبك) تحال إليه قضية إرث ضخمة تبلغ جزأين من أجزاء القاموس المحيط - بتعبير الطنطاوي - ويترافع فيها أساتذة كبار مثل: فؤاد القضماني وسعيد محاسن وآخرون من أساطين المحاماة، فتهيَّب دراستها أوّل الأمر، ثم أقبل عليها فوجدها دعوى غير صحيحة لا يتوفر فيها شرط الدعوى، فالمدّعي لا يطالب بشيء، بل يقول إنهم أعطوه أكثر مما يستحق، فردّ الدعوى وسط ذهول المحامين، ولما أَمْلى سبب ردّ الدعوى لكاتب المحكمة تنبَّه المحامون

---

(١) ينظر السابق: ٣/٢٦٢-٢٦٣.

(٢) ينظر الذكريات: ٢/٢٧٠-٢٧٢، و٣/١٦٧-١٧٧، ٢٦٢-٢٦٨، ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) ينظر السابق: ٤/١٦١ و٧/٢٦١-٢٨٥، ومقابلة معه في ١٤١٦/٥/٢٥هـ (منزله - جدّة).

إلى أنهم كانوا يترافعون في غير دعوى فكانت خير بداية لعمله في القضاء[١]. ثم نُقل إلى قضاء (دوما) وانتدب للسفر إلى القاهرة مع الأُستاذ نهاد القاسم، لدراسة ووضع مشروع الأَحوال المدنية، وقانون الإفتاء، والقانون المدني فقضى فيها عام ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م وطرفي السنتين قبلها وبعدها يداوم على عمله في وزارة العدل[٢].

وحين عاد من تلك السفرة أُنتدب للعمل بمحكمة دمشق، فعمل إلى جوار الشيخ عزيز الخاني، وكان فيما يبدو ضعيفاً لا يستطيع أن يضبط المحكمة، فكان رئيس الكُتَّاب يُسيِّر أمورها، فكانت المحكمة في غاية السوء، ولا يُستثنى من سيئاتها إلا قاضيان نزيهان هما الشيخ عادل العلواني والشيخ صبحي صباغ، وكان الطنطاوي يرى الرشوات وأنواع الفساد تدور أمامه ثم لا يملك شيئاً لإصلاحها. ولما مات الأُستاذ الخاني وقُتل عادل العلواني أسندوا إليه رئاسة محكمة دمشق. فكانت فرصة للإصلاح وتصحيح الأَوضاع فحدّد لكل موظف عمله، وعيَّن لكل معاملة وقتها، فمعاملة الزواج تسلم لأصحابها مصورَّة ومصدّقة بعد ثمان وأربعين ساعة، وحصر الإرث بعد أربع وعشرين ساعة، دون تطويل ولا تأجيل، ثم نظم أمر المراجعات على طريقة المعاملات المصرفيّة وخصص لها أرقاماً مزدوجة يحمل صاحب العلاقة إحداها ويُربط الثاني بالمعاملة، وقيَّد ذلك بـ (الدَّور) فلا يتقدم أحد إلا بحسب رقمه، وكذلك فعل بمأذُونِي العقود، الذين يُجْرونها في المنازل فينالون من الرسوم ما يزيد على الحد المقرر، فكان يبعث من قِبله من يراقبهم، وأحكم قبضته على الإجراءات الإدارية، ومنع الدخول على القضاة دون موعد، وأوقف أصحاب النفوذ والمكانة بخاصة من القرى عن الدخول إلا إن كانوا أطرافاً في القضايا، فانضبط له العمل في المحكمة على ما يريد[٣].فاكتسب بذلك عداوة أصحاب النفوذ والوجاهة، وكسب أنصاراً، ولكن أنصاره ضعفاء لايجلبون له نفعاً ولا يدفعون عنه ضرّاً، لأنهم من العامّة والفقراء الذين لا يمتد نفوذهم إلى أبعد من أُسرهم وذويهم[٤]. وكان بحكم عمله رئيساً للمحكمة الكبرى بدمشق يرأس

---

(١) ينظر الذكريات: ١٦٦/٤–١٦٨.

(٢) ينظر الذكريات: ١٦٦/٤–١٦٨، ومحمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم: ٢٠٢.

(٣) ينظر الذكريات: ١٦١/٤–٢١٨، ٢٦٩–٣٠٠ وينظر: محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم ٢٠٣–٢٠٤.

(٤) ينظر الذكريات: ١٩٩/٤، ٢٠٤.

عدداً من المجالس، كمجلس الأوقاف، ومجلس الأيتام، والمجلس الأعلى للمدارس الشرعية[١].

ونتيجة لما حققه الكاتب من نجاح في عمله القضائي رُشِّح ليكون مستشاراً في محكمة النقض، وصدر بذلك مرسومٌ جمهوري في ١٩٥٣/٤/٢٧م فانتقل إلى مقر عمله الجديد، فوجد فراغاً ليكتب ويؤلف وكان يفتقر إليه فيما مضى، إذ إن على المستشار أن يدرس القضايا ثم يُمضي حكم القاضي أو يطعن فيه، لكنه غير مُقَيَّدٍ بدوام رسمي.

وقد سار على منهجه في القضاء، فلا يدع القضيَّة تباتُ على مكتبه إلى الغد، وينظر إلى القضية بمنظار العدل أولاً والقانون ثانياً، فإن كان حكم القاضي عادلاً وقانونيًّا أبرمه وأمضاه، وإن كان قانونياً غير عادل، حاول أن يجد فيه ثغرة يدخل منها إلى نقضه، وإن كان عادلاً مخالفاً القانون سدّ ثغراته حفاظاً على العدل لا ممالاةً للقاضي[٢].

غير أن مسيرته مع القضاء لم تلبث أن تَعثَّرتْ لصراحته وتعبيره عن رأيه، وجهره بموقفه دون مواربة من عدد من القضايا المعاصرة؛ إذ رُفِعت الحصانة أربعاً وعشرين ساعة عن القضاة، وصدر القرار بتسريح عدد منهم بتهمة عدم ملاءمتهم للعهد الاشتراكي، وكان اسم الشيخ عبدالقادر الأسود هو الأول من تلك الأسماء، أما الاسم الثاني فعلي الطنطاوي، وذلك في عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م[٣].

وفي أواخر العام نفسه قدم إلى المملكة العربية السعودية معاقداً للتدريس في الكليات والمعاهد (نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) فمكث بالرياض عاماً واحداً، ولكنه أُصيب بوعكة صحية وضيق نفسي شديد حال بينه وبين العمل بالرياض، فغادر المملكة عازماً على عدم العودة إلى الرياض مرّة أخرى فلما دعاه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ ومفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم إلى تجديد العقد اعتذر وأنهى عقده.

---

(١) ينظر السابق: ٨/٣٣.

(٢) ينظر السابق: ٨/٣٣.

(٣) ينظر السابق: ٨/ ٦٩-٧٩.

وأثناء الإجازة الصيفية اتصل به الشيخ بهجة البيطار من سفارة المملكة بدمشق، وأخبره أنه ينتظره عند السفير الشيخ عبدالعزيز بن زيد، فأدرك أنه سوف يُحدّثه بشأن العودة إلى المملكة ولكنه لا يملك الاعتذار عن عدم الحضور لمقابلتهما، وعند باب السفارة دعا اللّه بدعاء الاستخارة، وفوّض إليه الأَمر. وهنالك أخذ الشيخ بهجة يجادله باسم المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم ويحاول إقناعه، فشعر الشيخ بأنهم يظنون أنه ترك الرياض عتباً أو غضباً؛ فأقسم لهم أنه ما غادرها مغضباً ولا كارهاً، ولكن ضاق صدره فيها، فتدخل السفير، وقال له: هل تذهب إلى مكة؟ فأجاب الطنطاوي مباشرة نعم. وفي مكة عمل في كلية التربية وكلية الشريعة وبقي يعمل بها حتى كثرت التزاماته، وتفرغ للعمل الدعوى والإعلامي[1].

و) رحلاته:

بدأ أديبنا حياته بالتنقل والارتحال سعياً وراء حاجاته، وحاجات أسرته، فانتقل بحكم طلبه للعلم، ثم بحكم الوظيفة، وبحكم عمله في الدعوة بين عدد من قرى ومدن الشام بعامة والوطن العربي، والعالم الإسلامي وأوروبا.

فتنقل بين دمشق وسلمية وسقبا ورنكوس وفلسطين وبغداد والموصل ومكة والرياض والقاهرة وأندونيسيا والهند والباكستان وبلجيكا وهولندا وألمانيا. غير أنني لا أستطيع أن أستعرض جميع رحلاته، فالمحل لا يتسع للاستقصاء، ويكفي أن أشير إلى الرحلات البارزة والمؤثرة في شخصيته وثقافته، فلو كان هنالك شيء جدير بالدخول إلى حيّز الثقافة دخولاً أولياً وبالضرورة بعد القراءة والجلوس على المشايخ ومصاحبة طلاب العلم، لكانت الرحلات ذلك الشيء. فالسفر ثقافة ومعرفة وشعور وإحساس يغني الوجدان بالكثير من التجارب والمعارف الممتعة. ولذلك كان الطنطاوي يحرص على اصطحاب تلاميذه في كثير من الرحلات الخلوية ويراه واجباً عليه على الرغم من عدم إلزامه ذلك فقد كان يُدرِّس مواد اللغة العربية والتاريخ والشريعة، وهي أبعد ما تكون في نظر الجهات الرسمية آنذاك – عن تنظيم الرحلات والإشراف عليها. وقد عرضه حبه للرحلات أو المغامرات الاستكشافية – إذا صح التعبير – وعرض طلابه معه للعديد من المواقف المحرجة

---

(١) ينظر السابق: ٨/٨١–١٠٠، ١٧٧–١٨٦، ١٩٧–٢٥٣.

والخطرة، ولكنها عوضته كثيراً من المعرفة والخبرة والثقة بالنفس، التي هي أساس كل نشاط أصيل وكان يرجو لطلابه مثل ذلك[١].

أما أول رحلة له فكانت عام ١٣٤٧هـ – ١٩٢٨م إلى مصر وله من العمر تسع عشرة سنة، ليوصل أخته إلى زوجها في القاهرة، هذه الرحلة هي أكبر حادث وقع له في صدر شبابه، وتركت أعمق الأَثر في نفسه وفكره وسلوكه[٢]، يقول الطنطاوي:

«كانت مصر في خيالنا يومئذ دنيا مسحورة، فيها العجائب، وكل مرغوب فيها، يأتينا منها المجلات والصحف، الحركات الفكرية والوطنية تنبثق منها، الرجال الذين نقرأ لهم، والشعراء الذين نحفظ شعرهم منها»[٣].

وكان أول ما أدهشه أنه رأى الشوارع مزدحمة بالناس والحافلات والترام ممتلئة، والدكاكين مفتوحة في ساعة متأخرة من الليل، فتساءل بعجب شديد أَلا ينام أهل مصر؟! وأصابه شيء مما أصاب أهل مصر فلم ينم تلك الليلة، يرقب النهار شوقاً ليرى ما الذي كانت تخفيه ظلمة الليل. ولما جاب شوارع القاهرة وجدها مدينة كبيرة جداً، وعرف لماذا يدعو المصريون النيل ببحر النيل عندما قارنه ببردى وما يتفرع منه من الأنهر الصغيرة في الشام، وأدهشته الحياة في مصر وحركتها التجارية، ورأى معالمها التاريخية والتقى جُلَّة من رجال العلم والأَدب كأحمد تيمور باشا والرافعي والشيخ كامل القصاب، وشهد الحركة الثقافية حين جلس في المطبعة السلفية، وشاهد بعض العروض الفنية، وزار العتبة والأُوبرا والأَزبكية، وشارك خاله محب الدين الخطيب في الإشراف على تحرير وكتابة أكثر من عددٍ من (مجلة الزهراء)، وكتابة بعض المقالات في جريدة (الفتح)[٤].

وفي تلك الأَيام كانت الدعوة الإسلامية تتمخض في مصر لتأتي بمولود جديد – على حدّ قوله – هو الدعوة الإسلامية المنظمة[٥]، فأفاد من فكرتها في إنشاء

---

(١) ينظر الذكريات: ١٤٩/٢، ٢٧٠، ٢٩٣–٣٠٢، ٤٦/٤–٤٧... إلخ.

(٢) ينظر السابق: ٢٤٩/١.

(٣) السابق: ٢٤٣/١.

(٤) ينظر السابق ٢٤٩/١–٢٥٦، و٢/، ٦، ٩.

(٥) ينظر السابق: ٢٥٦/١، ٢٦٠–٢٦٢، لم ينظم الطنطاوي طيلة حياته المديدة إلى منظمة أو حزب أو فئة =

اتحادات الطلاب والجمعيات الإسلامية للدعوة لما رجع إلى سوريا؛ وذلك لمقاومة الانتداب الفرنسي.

وفي مصر قوي قلمه، وانتقل من الأُسلوب الحماسي المحشو بالمبالغات، والجمل التي لها دويٌّ كدويّ الطبل إلى أسلوب هو أقرب إلى الأَصالة والرصانة، وأَلِفَ أعواد المنابر وتبدَّلت طريقته في الخطابة من الحماسة والصراخ وكثرة الإشارات إلى الحديث الهادئ، وفيها ذاق حلاوة العمل الصحفي حين عمل محرراً في مجلة الزهراء، وظل اسمه بعد ذلك وأعماله مرتبطة بالصحافة حتى توقف نهائياً عن الكتابة[١].

وقد تواترات رحلاته إلى مصر بعد ذلك، فرحل إليها طالباً في كلية دار العلوم عام ١٩٢٩م – ١٩٣٠م، ثم أخذه الحنين إلى دمشق فعاد إليها وترك دار العلوم.[٢] ورحل إليها أكثر من مرة ما بين الأَعوام ١٩٤٣م – ١٩٤٧م لوضع وصياغة بعض المشاريع القانونية، التقى خلالها عدداً كبيراً من مشايخ الأَزهر الشريف وعلمائه وقضاة مصر وأساتذة الحقوق والجامعات فيها[٣]، وأفاد من كل رحلة إليها ولكن ظلت الرحلة الأُولى هي ذات التأثير الأَعمق في حياته.

ومن أبرز الرحلات في حياة الطنطاوي تأثيراً في الشخصية على صعيد الأَخلاق والسلوك والوجدان رحلته الشاقة إلى البقاع المقدسة (مكة – المدينة) عام ١٣٥٣هـ في رحلة أشبه ما تكون بالرحلات الاستكشافية، اعتسفوا خلالها البوادي والصحاري طُرقاً يسلكونها، لأول مرة في التاريخ بالسيارات ذوات الدواليب حين كانت تلك الصحاري الجرداء لا تعرف إلا الدواب وسيلة من وسائل التنقل، تعرضوا فيها للموت عطشاً أو قتلاً وتعرضوا للضياع، ونالهم النصب والتعب، حتى إن أحدهم لم يعد يملك الرغبة في الفرار من السبع إذا ظهر أمامه. ولكنه عَرفَ عن الصحراء

=

معينة، بل كان نموذجاً للداعية المستقل والمثقف الحرّ، يقول كلمته ويمضي، وحيثما التقى الآخرين مشى معهم فيما وافقهم عليه، فإذا اختلفت سبيلهم تركهم ومضى في طريقه.

(١) ينظر السابق: ١/٢٥٧–٢٦٦.

(٢) ينظر السابق: ٢/١٦٤.

(٣) ينظر السابق: ٧/١٢٤–١٤٩.

الشيء الكثير، وعرف أخلاق أهلها ورأى كرمهم وحياتهم، واطلع على ثقافتهم الشعبية التي يديرونها في مجالسهم، وأشعارهم التي يُروِّيها أحدهم للآخر، وقابل بعض الوجهاء في الجزيرة، والتقى بعض أدباء الحجاز. وقد سجل أديبنا في دفتر كل ما وقع له في الرحلة خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة ليستعين به على الكتابة عنها، ولكنه سُرق منه أو توهَّم أن أحداً سرقه منه، غير أن ذاكرته جادت بأكثر تفصيلات الرحلة في كتاب بعنوان (**من نفحات الحرم**)، صَوَّر فيه بعدسة الفنان المَشاهد والمَعالم، والطرق وحياة الناس، ونقل لنا المتاعب والصعوبات، وَوَقْع كل ذلك عليه وعلى من معه، وقد رجع إليه عند كتابته في الذكريات عن تلك الرحلة[1].

وفي إثر نكبة فلسطين قام برفقة الشيخ أمجد الزهاوي والداعية العراقي الشيخ محمد محمود الصواف بجولة في كثير من دول العالم الإسلامي، إلا أن الصوّاف اعتذر بعد ذلك فتابع الاثنان رحلتهما إلى المشرق الإسلامي، فرحلا إلى فلسطين والموصل وبغداد وكراتشي والهند وأندونيسيا ثم عادا إلى العراق فالشام. وكان هدف الرحلة الوحيد هو التعريف بالقضية الفلسطينية، وما يُحاك ضد الأَرض المباركة من مؤامرات تهدف إلى إضاعة الحق الإسلامي والعربي فيها، وجمع ما يجود به المسلمون لصالح المسجد الأَقصى والأَرض المباركة لدعمهما في النضال. وكانت تلك الرحلة في عام١٩٥٤م وقد عَرَّفته بأحوال المسلمين في تلك البقاع وتاريخ الدعوة الإسلامية فيها، ورأى ما تحويه من آثار جمالية وتاريخية، واتصل بعدد من علماء تلك الأَقطار، واضطر مراراً لمواجهة جموع هائلة من الناس والحكام فقام بين أيديهم خطيباً يوجِّه الكلام لغاية واحدة، ويرد الاتهامات ويدافع عن الحق السليب، فأكسبه ذلك مزيداً من القدرة على الارتجال والمناورة والمحاورة والجدل.

---

(١) ينظر السابق: ٣/٥٣-٩١، ١٢٣، ١٤١، ١٥٩.

وكان حصيلة تلك الرحلة كتاباً بعنوان (في **أندونيسيا**)، وكتاباً أعلن عنه ولم ينشره - فيما أعلم - بعنوان (في **السند والهند**) وأكثر من تسع عشرة حلقة من الذكريات[١].

وفي عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م رحل الطنطاوي مع زوجه إلى أوروبا لزيارة ابنته بنان، وزار هناك كُلاً من ألمانيا، وبلجيكا، وهولندا واجتمع أثناءها ببعض المسلمين، وناظر بعض الفرق، وجلس إلى الطلاب والطالبات واطلع على هواجسهم، واطمأن إلى وضع الدين وانتشاره في تلك الأصقاع. وكتب عن تلك الرحلة في تسع حلقات من ذكرياته[٢].

ح) أوليات الطنطاوي:

ليس غريباً أن تكون لشخصية الطنطاوي، وإمكاناته ومميزاته السبق في كثير من الأُمور العامة والخاصة، إذ إنَّ المتابع لحياة (الشيخ) يجد أن له أوَّليات سبق إليها في كثير من الأُمور والأَعمال، منها:

- يُعد من أوائل من عمل في حقل الدعوة الإسلامية بالأُسلوب الحديث بإصدار (رسائل في سبيل الإصلاح) ثم (رسائل سيف الإسلام)، وكان ذلك في عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م رد فيهما على بعض الجامدين، وانتقد طريقتهم المُنفِّرة في الدعوة إلى الإسلام، ورد على الشباب الجاحدين وعاب عليهم اندفاعهم الأَرعن، وهجرهم الفضائل التي عرفت عن أسلافهم، فألَّب عليه جميع الأَطراف، ولم يبق معه إلا ثُلَّة من المعتدلين، ومن عرف صدق ما يدعو إليه[٣].
- كان من أول من تصدى في فترة مبكرة جداً لإيضاح مفاهيم غاية في الخطورة للشباب من خلال:
  - o تحديد موقف الإسلام من القومية والعرقية ومن الحضارة الغربية.

---

(١) ينظر السابق: ٥/١٩٣-١٠٠، ١٢٣-٢١٣، و٦/١٠٩-١١٨، ١٣١-٢٤٣.

(٢) ينظر السابق: ٧/٢٠١-٣٠٠، ومحمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

(٣) ينظر: المصدران السابقان.

- بيان أنّ الإسلام ليس عبادة أو صلاة فحسب بل هو عبادة وقانون مدني وجزاءات وأخلاق[١].

- أول من دعا إلى إنشاء الجمعيات الإسلامية في (سوريا)، وذلك عقب عودته من مصر عام ١٣٤٨هـ - ١٩٢٨م متأثراً بما رآه فيها من جمعيات إسلامية فنقل فكرتها إلى سوريا. وكانت جمعية الهداية الإسلامية أقدمها ظهوراً، وقد قدمها الطنطاوي للناس بمحاضرة في المجمع العلمي بدمشق عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٠م وبمقالة كتب فيها قصة إنشائها، وخلاصة قانونها، ونشرت في جريدة (القبس) في ١٩٣٠/١١/٢٩م[٢].

- أصدر أول مجلة إسلامية في سوريا عام ١٣٥٠ - ١٩٣٠م وسّماها (**البعث الإسلامي**) وكان أوّل الأمر يكتبها ويعمل على تصحيحها، وينفق عليها من جيبه الخاص، ثم ترك مسائل النشر والطباعة لجمعية التهذيب والتعليم، وتفرغ للتحرير فيها ومتابعة مادتها العلمية، ولكن خذله أعضاء الجمعية حين أرادوها منبراً لأصواتهم، يستغلونه لأغراضهم الشخصية[٣].

- وضع قانون الأحوال الشخصية عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م، كما هو موضح في مذكرة القانون الإيضاحية، وهو أول قانون جامع للأحوال الشخصية مستقى من الشريعة الإسلامية، ولا يزال العمل به في الشام حتى اليوم[٤]. وتعد مسائل الأحوال الشخصية من أكثر مسائل الشريعة والقانون تداخلاً وتعقيداً وتفرُّعاً.

- وبعد الوحدة مع مصر وضع قانون الإفتاء، وأوجد ما يُسمى بمجلس الإفتاء الأعلى، حتى لا تتفرق مقاييس العلماء وأحكامهم، وهو ما يماثل مجلس القضاء الأعلى هنا بالمملكة العربية السعوية[٥].

---

(١) ينظر: الذكريات: ٢٥٦/١-٢٧٣ وينظر محمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

(٢) ينظر: السابقان.

(٣) ينظر: الذكريات: ١٥٢/٢-١٥٣ ومحمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

(٤) ينظر: الذكريات: ١٠٩/٧، ١١٧-١٥٢ ومحمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

(٥) ينظر: الذكريات: ٧٨/٤ ومحمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

- قدر على جمع رؤوس الفرق من العلماء، والعاملين في الحقل الإسلامي في الشام، من أقصى الطرف الصوفي إلى أقصى الطرف السلفي، لأنه كان معهم جميعاً يعاون كل من يعمل للإسلام، يمشي معه ما دام على طريقه فإن اختلفت الطريقان لم يُبدِّل من أجله طريقه، وكانوا يستجيبون له ولا يستوحشون منه، لأنه لا ينازع شيخاً على مشيخته، ولا رئيساً على رئاسته[1].

- أول من دعا من المشايخ في العصر الحديث إلى إقامة صلاة الاستسقاء في الشام عام ١٣٨٠هـ - ١٩٥٩م، بعد أن هُجرت منذ وقت طويل عند حلول القحط والجدب، واستبدل بها بدعٌ وأهازيج يرددون فيها أبياتاً شعرية ويظلُّون يوقّعونها وهم يتراقصون، ثم يعودون إلى منازلهم وينتظرن الغيث، وقد روى لنا الكاتب بعض هذه الأبيات ومنها:

يا ذا العطا يا ذا الوفا ... يا ذا الرِّضا يا ذا السَّخا

اسق العطاش تكرماً ... فالعقل طاش من الظَّما

فبذل الطنطاوي جُهداً كبيراً جداً في إخراج الناس للصلاة، وفي إقناع العلماء الذين كانوا يرون عدم الخروج خشية افتتان العامّة وجزعهم حين يخرجون ويصلون وَيَدْعُون فلا يغاثون، ونجح سعيه فخرج الناس زرافات ووحداناً، شيباً وشباباً ونساءً، كباراً وأطفالا، وهم صيامٌ نادمون مقبلون على اللَّه فاستجاب لهم اللَّه وأغاثهم وكبت شانئيهم والمشككين في جدوى هذه السنة العظيمة[2].

- من أوائل المشايخ الذين اتصلوا بالإذاعة والتلفاز، فقد بدأ اتصاله بالإذاعة عندما أُنشئت إذاعة الشرق الأدنى في يافا، وذلك بعد إنشاء محطة مصر الإذاعية بسنة واحدة. أما اتصاله (بالتليفزيون) فقد كان في عام ١٣٨١هـ وقد دخله متردداً لأنه لم يعرفه بَعْد، ولأنه خشي أن يكون دخوله إليه دافعاً

---

(١) ينظر: الذكريات: ٧٩/٤ ومحمد نادر حتاحت: أوراق خاصة عن الطنطاوي.

(٢) ينظر: الذكريات: ٢٧/٦-٤٥.

للناس – وفيهم من لا يعرف الصالح من الفاسد – على شرائه، فيتأثرون بما يُعرض فيه مما يضر الأَخلاق وقد تَحيَّر ماذا يصنع؟ هل يكتب الحديث ثم يقرأه، فيقيم صحيفة بينه وبين الناس فيكون كمن يتكلم من وراء حجاب، أم يكتب الكلمة ثم يحفظها؟! ولم يكن حوله من يستأنس بتجربته، وانتهى إلى أنْ يتخيل نفسه أمام الناس فيتحدث إليهم كما يتحدث في مجلسه[1].

ويذكر أيضاً أنه كان أول من دخل استديو التليفزيون في جدّة، وتكلم فيه قبل أن يدخله أحد من المحدِّثين والمغنين والفنانين[2].

ثانياً: آثـــاره:

ليست الدراسة هنا بسبيل إجراء مسحٍ إحصائي عام حتى تُلِمَّ إلماماً شاملاً بنتاج أديبنا الطنطاوي، لا تَدعَ فيه جهداً ولا كتاباً ولا مقالة ولا قصة ولا رسالة إلا أحصتها. لكنَّها بصدد عرض ما تَتَمكن من عرضه من نتاج الطنطاوي الذي وقع تحت يديّ الباحث وتمكن من الاطلاع عليه، وسوف أكتفي بذِكر اسم المؤَلَّف وتاريخ النشر دون الإطالة بالشرح، ويستطيع القارئ مراجعتها في مظانها للاطلاع عليها، وهي بحسب تاريخ الصدور:

١. رسائل الإصلاح، ١٣٤٨هـ – ١٩٢٩م.

٢. بشار بن برد، ١٣٤٨هـ – ١٩٢٩م.

٣. رسائل سيف الإسلام، ١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م.

٤. الهيثميات، ١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م.

٥. عمر بن الخطاب، ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م (جزءان).

٦. أبو بكر الصديق، ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م.

٧. في التحليل الأدبي، ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م.

---

(١) ينظر: السابق: ٤/٧٨، و٦/٩٢.

(٢) ينظر: السابق: ٤/٧٨.

٨. كتاب المحفوظات، ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م (كتاب مدرسي).

٩. في بلاد العرب، ١٣٥٧هـ – ١٩٣٩م.

١٠. من التاريخ الإسلامي، ١٣٥٧هـ – ١٩٣٩م.

١١. قصص من التاريخ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م[1].

١٢. رجال من التاريخ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.

١٣. صور وخواطر، ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م.

١٤. قصص من الحياة، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

١٥. في سبيل الإصلاح، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

١٦. دمشق.. صور من جمالها وعبر من نضالها، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

١٧. مقالات في كلمات، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

١٨. سلسلة حكايات من التاريخ، ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م:

أ) جابر عثرات الكرام.

ب) المجرم ومدير الشرطة.

جـ) التاجر والقائد.

د) التاجر الخرساني.

هـ) قصة الأخوين.

و) وزارة بعنقود عنب.

ز) ابن الوزير.

(تصلح أن تكون أدب أطفال)

١٩. أخبار عمر، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.

---

(١) ذكر لي الطنطاوي في داره في مكة أن هذا الكتاب غير كتابه (من التاريخ الإسلامي) وأن فيه إضافات وزيادات كثيرة، ولكنه اشتمل على بعض الموضوعات المنشورة فيه، ولم يتيسر للباحث الاطلاع على كتاب (من التاريخ الإسلامي). (مقابلة معه في: ٨ رمضان ١٤١٧هـ عقب صلاة العشاء – مكة المكرمة– منزله بالعزيزية).

٢٠. من حديث النفس، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢١. من نفحات الحرم، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٢. هتاف المجد، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٣. صور من الشرق.. في أندونيسيا، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٤. الجامع الأموي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٥. فصول إسلامية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٦. فكر ومباحث، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٧. مع الناس، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٨. بغداد، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٢٩. صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

(تعليق وتقديم وتحقيق مع أخيه ناجي الطنطاوي).

٣٠. سلسلة أعلام التاريخ ط١، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م:

أ) عبد الرحمن بن عوف.

ب) عبد اللّه بن المبارك.

جـ) القاضي شريك.

د) الإمام النووي.

هـ) أحمد بن عرفان الشهيد.

٣١. تعريف عام بدين الإسلام ط١٠، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٢. حلم في نجد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٣. فتاوي علي الطنطاوي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(جمع وترتيب حفيده مجاهد ديرانية)

٣٤. ذكريات علي الطنطاوي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م (٨ أجزاء):

أ) جزء (١ و٢)، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
ب) جزء (٣ و٤)، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
جـ) جزء (٥ و٦)، ١٤٠٧هـ / ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
د) جزء (٧ و٨)، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٣٥. قصة حياة عمر، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٣٦. مقدمات الشيخ علي الطنطاوي، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
(جمع وترتيب وتقديم مجد مكي).

من رسائله ومحاضراته:

٣٧. يا بنتي ويا ابني.
(ترجمت لأكثر من لغة).

٣٨. قصتنا مع اليهود.

٣٩. المثل الأعلى للشباب المسلم.

٤٠. موقفنا من الحضارة الغربية.

٤١. ارحموا الشباب.

٤٢. من غزل الفقهاء.

٤٣. القضاء في الإسلام.

٤٤. طريق الجنة وطريق النار.

٤٥. الرزق مقسوم ولكن العمل له واجب.

٤٦. طريق الدعوة إلى الإسلام.

٤٧. صلاة ركعتين.

٤٨. من شوارد الشواهد.

٤٩. تعريف موجز بدين الإسلام.

وأغلب نتاج الطنطاوي نشر ابتداءً عبر الصحف ثم أعيد جمعه وطباعته ونشره. وقد ترجمت بعض أعماله إلى أكثر من لغة واسعة الانتشار مثل كتابه (**تعريف عام بدين الإسلام**) و(**يا بنتي ويا ابني**) وغيرها. وحقق اللّه لها قبولاً كبيراً في نفوس العامة والخاصة؛ لما توفر فيها من نصاعة العبارة وجمال التأليف والصدق والإخلاص، والعناية بالقضايا الجوهرية التي تهم الناس، ولقربها من أفهام العامة دون ابتذال.

وهناك أعمال كثيرة جداً ما بين مقالات وروايات وقصص ومسرحيات ومشاركات أدبية لم تنشر إما لضياعها وإما لرفض الكاتب لذلك، مثل كتاب (**مناظرات وردود**) وهو كتاب كبير جمع فيه المعارك الأدبية والفكرية التي خاضها في فترات متباعدة من حياته القلمية، لأنه كما يرى قد كتب بأسلوب غير صحيح، اتجه فيه إلى نقد الكُتَّاب والنيل منهم وتصيُّد عثراتهم، ولم يسلط نقده على الفكرة فيبين خطأها أو صوابها، ومثل: (**حسن الخراط**) وهي قصة طويلة / رواية كتبها عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ونشر بعض فصولها في مجلة (الناقد) ثم أوقفت بأمر الفرنسيين ويظهر أنه قد أضاع أُصولها بعد ذلك.

وله بالإضافة إلى ذلك مشاركات تليفزيونية وإذاعية مشهورة على مستوى الوطن العربي، ظلت تُعرض في عدد من الإذاعات والتليفزيونات بأكثر من دولة عربية، ومن ذلك برامجه المُقدَّمة عبر إذاعة وتلفاز المملكة العربية السعودية، والتي ظلت تقدم لأكثر من سبع وعشرين سنة متوالية حتى حالت شيخوخته عن مواصلة إذاعتها وبثها، وهي:

١. **نور وهداية** (برنامج أسبوعي - يوم الجمعة على مدار العام).

٢. **على مائدة الإفطار** (سنوي - كل يوم في شهر رمضان المبارك وقت الإفطار). وقد ترجم الأستاذ أحمد رامي مجموعة أحاديث له في رمضان إلى الفارسيّة بعنوان (**كفتار رمضان**)[1].

٣. **مسائل ومشكلات** (برنامج إذاعي - يومي).

---

(١) ينظر: الذكريات: ٢٨٦/٨، وأحمد سعيد بن سلم: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً: ٢١٩/٢.

وللطنطاوي جهود طيبة في مجال الفتيا، وإرشاد الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وخدمة الإسلام والمسلمين. وقد رأت أمانة جائزة الملك فيصل الإسلاميّة، منحه جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام، مناصَفةً مع: الدكتور خورشيد أحمد رئيس المؤسسة العالمية للدراسات الاقتصادية الإسلامية، في الجامعة الإسلامية بإسلام أباد.

وقد جاء هذا التكريم لأسباب بَيَّنتها الأمانة العامة للجائزة في حيثيات التكريم، ومنها:

١. تميز الطنطاوي بالعمل المتواصل والبذل والعطاء طوال ستين عاماً في مختلف المجالات التعليمية والثقافية والقضائية والاجتماعية.

٢. اتسامه بالصمود والكفاح في ميدان التوعية الإسلامية، ونشر الفكر الإسلامي، وإسهامه في الجهود الإصلاحية بالمحاضرة والكتابة والنشر.

٣. بذل كل ما يستطيع في ردّ الشبهة ونقض الأباطيل بالمناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهدايته الناس إلى الحق بالفتوى الرشيدة والدعوة الصادقة.

٤. انفراده في دعوته إلى المنهج السليم بإبداع في مناهج القول والكتابة، يتميز بالطرافة والسهولة، والنفاذ إلى قلوب مخاطبيه ومستمعيه: رجالاً ونساءً شرقاً وغرباً[1].

---

(١) جريدة عكاظ السعودية ص: ١٦ العدد ٨٦٣٧ بتاريخ الأربعاء ١٠ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ٧ مارس ١٩٩٠م. وجريدة المدينة السعودية ص: ٤ العدد ٨٣٣٥ بتاريخ الأربعاء ١٠ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ٧ مارس ١٩٩٠م. وجريدة الندوة السعودية ص: ٥ العدد ٩٤٦٤ بتاريخ الأربعاء ١٠ شعبان ١٤١٠هـ الموافق ٧ مارس ١٩٩٠م.

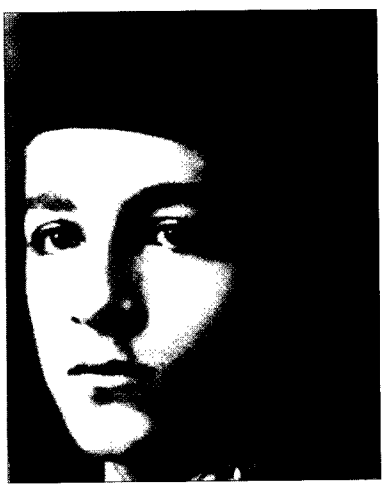

الشيخ الطنطاوي -رحمه الله- في الصبا والشباب

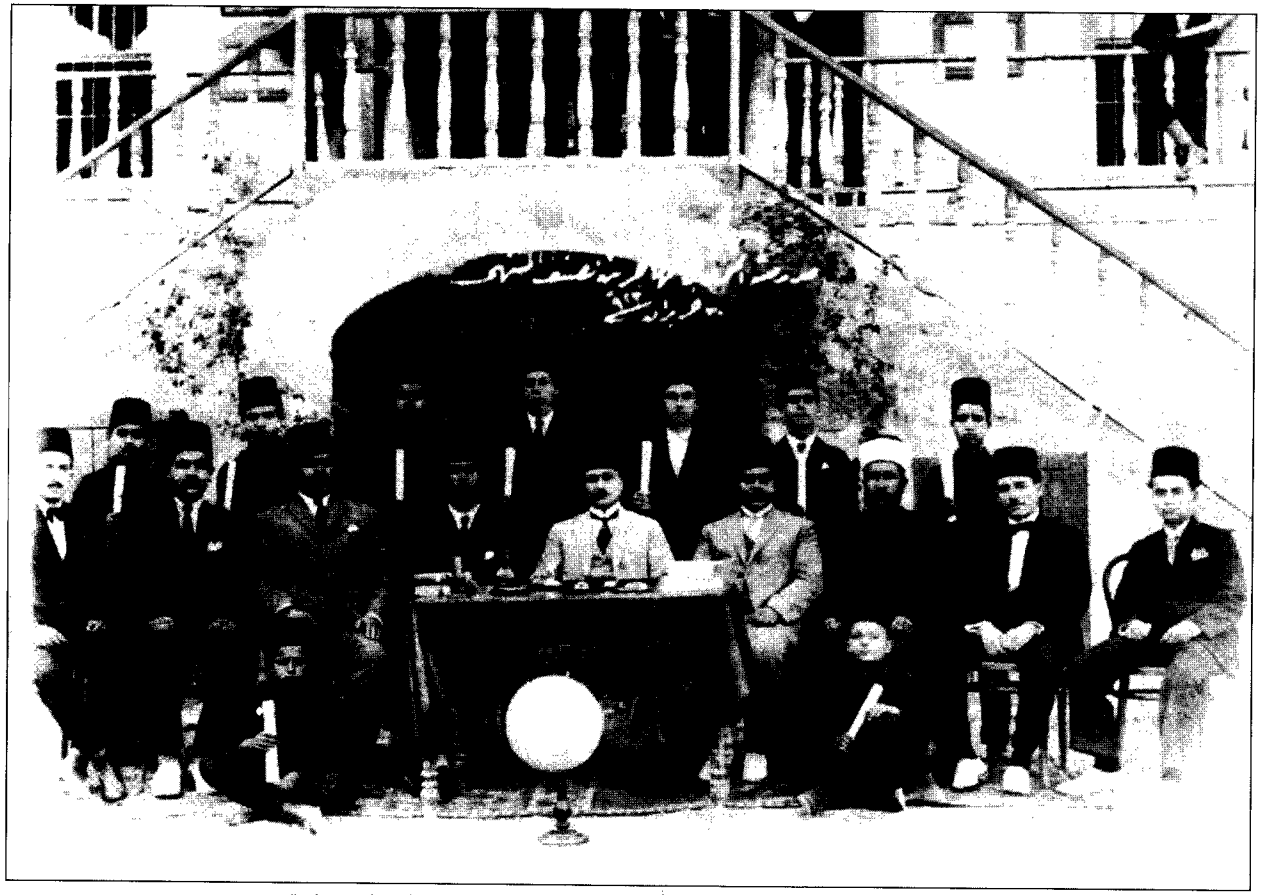

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- حينما حصل على الشهادة الابتدائية

الجالس على الأرض من جهة اليمين

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- مع إخوته

الشيخ ناجي، والدكتور عبدالغني، والشيخ سعيد، مع أختهم

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- في الشباب ١٩٣٩م

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- في شيخوخته

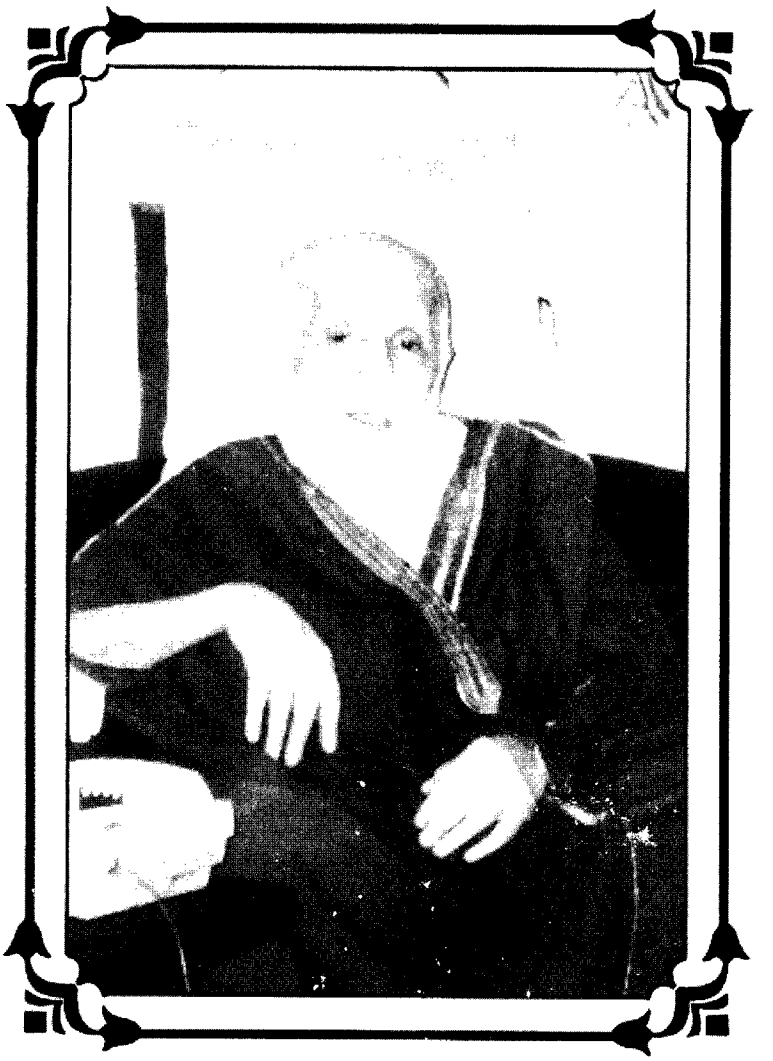

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- في شيخوخته المتأخرة ١٩٩٨م

الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- مع المؤلف ١٩٩٥م

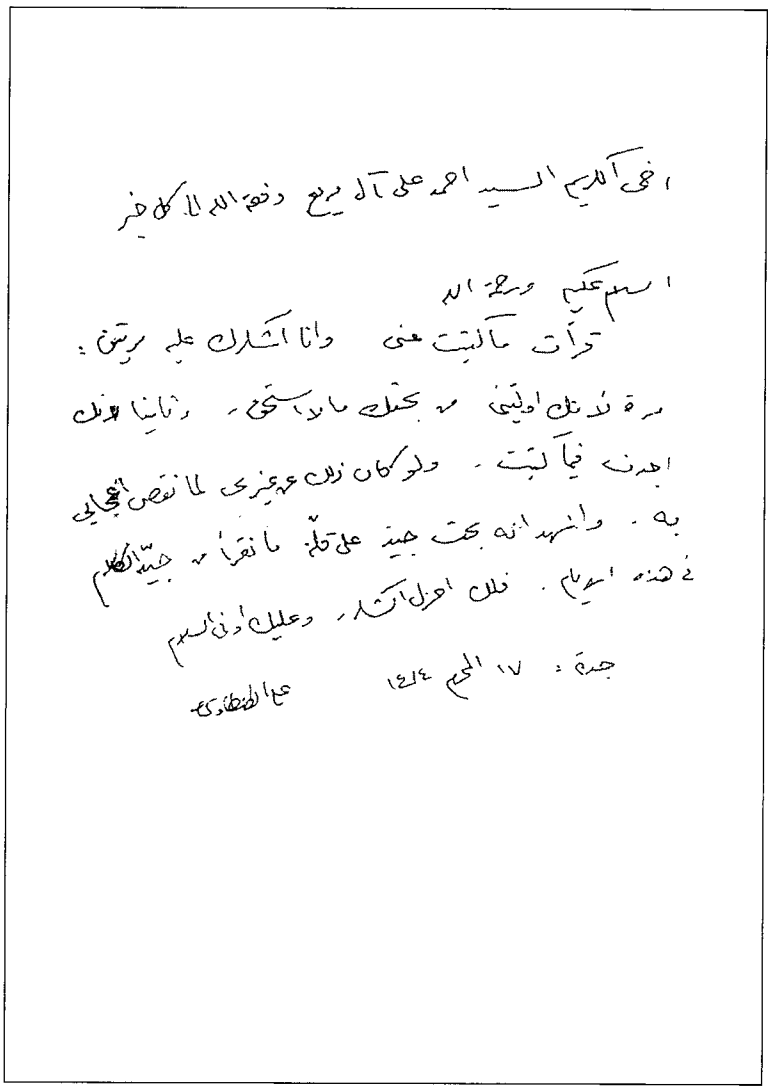

أخي الكريم السيد أحمد علي آل مريع وفقه الله إلى كل خير

السلام عليكم ورحمة الله

قرأت ما كتبت عني وأنا أشكرك عليه مرتين:
مرة لأنك أوليتني من فضلك ما لا أستحق، وثانيًا لأنك
أحسنت فيما كتبت. ولو كان ذلك عن غيري لما نقص إعجابي
به. وأشهد أنه بحث جيد على قلة ما نقرأ من جيد الكلام
في هذه الأيام. فلك أجزل الشكر، وعليك أزكى السلام

جدة: ١٧ المحرم ١٤١٤

علي الطنطاوي

رسالة من الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله-، أرسلها للمؤلف بعد قراءته لدراسة كتبها عنه وهو طالب في السنة الأخيرة من تعليمه الجامعي، وقد صدرت الدراسة بعد ذلك في كتاب بعنوان: (قراءة في فلسفة الحب عند الشيخ علي الطنطاوي)